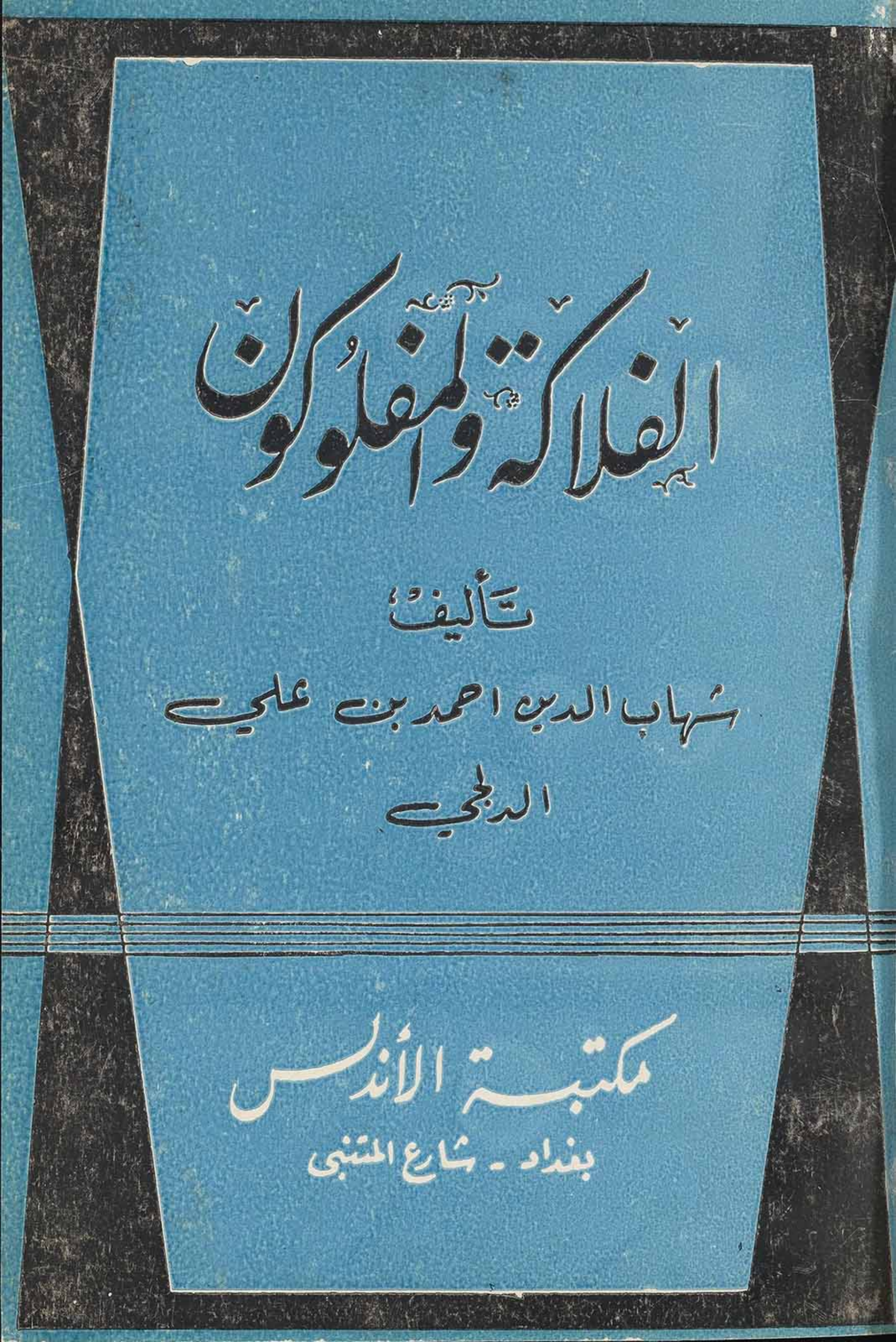

الفلاكة والمفلوكون
تأليف
شهاب الدين احمد بن علي
الدلجي
مكتبة الأندلس
بغداد - شارع المتنبي



تأليف

مولانا شهاب الملة والدين

احمد بن علي الدلجي

مكتبة الأندلس

شارع المتنبي

بغـــداد

مطبعة الآداب ـ النجف

١٣٨٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن يستحق الحمد لذاته وهويتــه ، ويستوجب الشكر لكمال الآهيته ، وتتقاصر الأوهام عن دقائق اقداره وأقضيته ، وتتحير الأفهام في لطائف آلائه ورأفته، وتدهش العقول في كمال مصنوعاته وحكمته ، وتقف الأفكار حيرى فى كبريائه وقاهريته . الخلق مقهورون محجوجون بساطع حجته ، والقلوب في تصرفه يقلبها كيف يشاء على وفق مشيئته . ما من شيء إلا وفي خزائنه غير معدوم ، وما ننزّله الا بقــدر معلوم . « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » . على علمه الخير والشر ، والنفع والضر ، والحركة والسكون ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كل في فلك يسبحون . جعل لكل أجل كتاباً ، وللمسببات اسباباً، وربط المسببات بالأسباب وهو خالق الأسباب والمسببات ، وأوقع الشبع عقيب الأكل دائما على العادة وهو غني عن العادات ، وهب العقل فيسّر بــه سواء السبيل ، وركب الخرق فنقص بــه الحظ من التحصيل . « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها انه على صراط مستقيم » ، « انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون » . اغنى وأقنى ، وأضحك وأبكى وأمات واحيا . « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » .

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدّ لهم أشد عذاب أليم

واشهد ان محمداً عبـده ورسوله الهادى باذنه الى صراط مستقيم « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذويه ، وسائر أتباعه وأوليائه ومحبيه وسلم تسليما كثيراً .

(وبعد) فقد منحتكم يا معشر إخوانى المفاليك كتاباً بديع المثال ، منسوجاً على غير منوال ، مخترعاً من غير سابقة مثال مسلاة وتمثـلا وحكمة وعللا ، تتخذونه مفاكهة وأمثالاً ، وتتصرفون به في ظنونكم رداً واعمالاً ، وتنزعون به أيديكم من ربقة انتزاعاً ، وترفعون به نحو الأغراض والمقاصد شرعاً .

وكان المحرك لهذه الكتابة أن سائلا سأل عن السبب في علية الفلاكة والإهمال على نوع الإنسان ، فصادف مني نشاطاً للكلام فى ذلك نفثـة مصدور وضربة موتور ، وناراً ساكنـة ألقمها حطباً ، ودعوة وافقت ارادة ومطلباً .

وانا اعتذر عما لا يوافق الغرض ولا يصيب الغرض ، وعن استبدال الجوهر بالعرض ، بأن استكشاف أسرار الدقائق واستشفاف أنوار الحقائق مما يتعذر أو يتعسر مـع العوائق البدنية والصوارف النفسانية ، ولو كان الخاطر صقيلا باتراً ومواد الكلام بحراً زاخراً ، فكيف اذا كانت الفكرة كليلة ، والبضاعة من العلم قليلة ، والصوارف متناصرة ، والبواعث متقاصرة والشواغل الى حد المنع من معاودة التنقيح والتهذيب ، والوقت ضيق عن اختيار الألفاظ وجودة الترتيب ، والكتب مفقودة أو مستعارة ، والهموم تشن غارة بعد غارة .

هذا مع ان المخترعات التي لم تسبق بتصنيف ولا بتدوين وترصيف لا تبلغ بها الفائدة نصابها ، وتفتح للمعاذير أبوابها . ومن الله استمد العصمة من وصمة الغلط ، وغوائل الأوهام وبوادر السقط ، وأن يوفقنا لإخلاص

النية واحسان الطوية .

وزتبت مقصود هذا الجمع في فصول :

(الفصل الاول) في تحقيق معنى المفلوك الذي قصر عليه هذا الكتاب

(الفصل الثاني) في خلق الأعمـال وبيان ان لا حجة للمفلوك فى التعلق بالقضاء والقدر .

(الفصل الثالث) في أن التوكل لا ينافي التعلق بالأسباب وان الزهد لا ينافي كون المال في اليدين .

(الفصل الرابع) في الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها .

(الفصل الخامس) في أن الفلاكة والإهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك .

(الفصل السادس) في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة ليس إلا بعد كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف وبيان السبب في ذلك .

(الفصل السابع) في علية الفلاكة والإهمـال والإملاق على نوع الإنسان وبيان السبب في ذلك .

(الفصل الثامن) في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية .

(الفصل التاسع) فى أن التملق والخضوع وبسـط اعذار الناس والمبالغـة في الإعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من احسن احوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضى الطريق بهم الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك .

(الفصل العاشر) في تراجم العلماء الذين تقلبت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل .

(الفصل الحادى عشر) في مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث

النكبات الحاصلة للاعيان .

(الفصل الثاني عشر) فى أشعار المفلوكين أو من في معناهم وما فيها من مقاصد شتى وبيان أن الحامل عليها انما هو الفلاكة .

(الفصل الثالث عشر) في وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة نختم به الكتاب .

الفصل الاول

في تحقيق معنى المفلوك

هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها بشهادة مواقع الإستعمال الرجل الغير المحظوظ المهمل فى الناس لإملاقه وفقره ، وليس في صحاح الجوهرى ولا في القاموس المحيط في هذه المادة ما يصلح لهذا المعنى إلا قول صاحب القاموس « فلك تفليكاً : اذا لجّ في الأمر » فانه يمكن أن يجعل مصححا لهذا الاستعمال .

وبيانه ان اللجاج لازم الإملاق ، فانه يلزم من الإملاق وعدم الحظ اللجاج ، فيكون من باب إطلاق اللازم وارادة الملزوم .

وهذا مع ما فيه من التكلف مردود بأن فعل تفعيلا لا يصح أن يكون اسم المفعول منه بزنة مفعول ، والذي يظهر انه مأخوذ من الفلك الذي هو جسم محيط بالعالم ، فكأن الفلك يعارض غير المحظوظ في مراده ويدافعه عنه

فان قيل : هذا فاسد لفظاً ومعنى : أمـا اللفظ فلأن الفلك اسم جامد لا يصح ان يشتق منه صيغة مفعول ، ولا يصح اشتقاقه من الفلك لما فيه من معنى الإستدارة ، لأن الفلاكة بمعنى عدم الحظ ليست من معنى الاستدارة في شيء ولا على المجـاز ، على معنى ان عدم الحظ لما استلزم الحركة والاضطراب والجولان كان اطلاقها وارادته من باب اطلاق اللازم

وارادة الملزوم ، لأن اللازم لعدم الحظ هو مطلق الحركة والاضطراب لا الحركة المقيدة بالاستدارة . وأما المعنى فان اشتقاقه من الفلك على معنى ان الفلك يعارضه في مراده ويدافعه عنه غير مستقيم ، لما تقرر فى الكتب الكلامية أن الله تعالى هو خالق كل شيء .

فالجواب عن الاول ان اشتقاق المفلوك من الفلك غير ممتنع ، فقد قالوا « رأسته » بمعنى ضربت رأسه ، و « رأيته » بمعنى أصبت رئته ، وابلغ من ذلك اشتقاقهم من الحروف كما فى اشتقاق « احاشى » من حاشا الحرفية الاستثنائية في احد التخريجين فى قول من قال :

*ولا احاشى من الاقوام من احد *

وابلغ من ذلك اشتقاقهم من لفظ الجملة كالحوقلة والبسملة والهيللة

وعن الثاني ان ذلك من قبيل المجاز العقلى ، وهو نسبة الشيء الى زمانه مجازاً تشبيها للتلبس الغير الفاعلى بالتلبس الفاعلى ، ويشهد لذلك ما قاله العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم في ثلاثة او ان يكن الشؤم ففي ثلاثة المرأة والدار والفرس » على اختلاف الروايتين جزما وتعليقا من ان ذلك على المجاز والاتساع ، أي قد يحصل الشؤم مقارناً لها وعندها لانها هي فى أنفسها مما توجب الشؤم ، فقد تكون الدار قد قضى الله تعالى ان يميت فيها خلقاً من عباده ، كما يقدر ذلك في البلد بالطاعون والوباء ، فيضاف ذلك الى المكان مجازاً ، والله خلقه عنده وقدره .

فقد صح بهذا التقرير جواز اخذ المفلوك من الفلك ، على معنى انه الذي يعارضه الفلك فى مراده على جهـــة التجوز . ولو سلم ان السعود والنحوس لا تدور مع حركات الأفلاك دائماً لم يكن ذلك قادحاً في صحة التجوز ، لأن اضافة الفعل الى زمانه مجازاً لا تحتاج الى كون القضية دائمة ، كما في قولهم « نهاره صائم وليله قائم » وامثاله مما لا يحصى .

على انا نقول : اللغة اصطلاحية على قول ، والألفاظ العلمية التي يدير عليها اهل كل علم - كالرفع والنصب للنحاة مثلا - اصطلاحية اجماعاً ووفاقا . ووجه اختيار لفظ الفلاكة على الفاقة والإملاق والفقر ونحوها ان هذه الألفاظ الثلاثة ونحوها نص وصريح فى مدلولها ، بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك ، فانه يتولد منهما بمعونة القرائن معان لائقة بالمقامات على كثرتها وتفاوتها .

الفصل الثاني

في خلق الأعمال وما يتعلق به

أما مذهب إمام الحرمين وجمهور الفلاسفة وأبي الحسين البصرى من من المعتزلة فهو ان الله تعالى يوجد للعبد القدرة والإرادة ، ثم تلك القدرة والازادة يوجبان وجود المقدور .

ومذهب اكثر المعتزلة أن القدرة الحادثة موجبة لحدوث مقدورها ، وانه لا تأثير للقدرة القديمة فيه .

ومذهب الشيخ أبي الحسن الأشعرى وجماعة من اصحابه والقاضى ابي بكر الباقلاني في احد اقواله والبخاري من المعتزلة انه لا تأثير للقدرة الحادثة فى حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته وان اجرى الله العادة بخلق مقدورها مقارناً لها ، فيكون الفعل خلقاً من الله ابداعاً واحداثاً وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته .

واختلف فى تفسير الكسب على قولين : (احدهما) ان ذات الفعل تحصل بقدرة الله تعالى وكونه طاعة ومعصية ، كما في لطم اليتيم تأديباً وإيذاءاً صفات له تابعة لوجوده يحصل بقدرة العبد ، لأن مفهوم الفعل اعم من خصوص كونه قياماً وقعوداً وما به التمايز غير ما به الاتحاد ، فما

به التمايز هو الكسب . صرح بذلك الأبهرى في شرح المواقف وبعض شراح الطوالع ، ولكن المشهور إيراده مذهبا للقاضي ابي بكر الباقلاني واخذاً من اقواله .

(القول الثاني) وهو المشهور في تفسير الكسب انه تصميم العزم على الفعل ، على معنى ان الله تعالى اجرى عادته بأن العبد اذا صمم العزم على المعصية يخلق الله تعالى فعل المعصية فيه ، فالعبد وان لم يكن موجداً إلا أنه كالموجد . واستدلت الأشاعرة على مطلوبهم بمسالك كثيرة ضعفها الآمدى فى أبكار الأفكار ، ولم يرتض منها الا مسلكين اخصرهما لو كان العبد خالقا لأفعال نفسه للزم وجود خالق غير الله ، ووجود خالق غير الله محال ، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم .

واما المعتزلة فاستدلوا على مذهبهم بوجوه كثيرة مرجعها الى امر واحد ، وهو انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل مدح العباد وذمهم على الطاعات والمعاصى ، اذ لا يمدح زيد ولا يذم بما يفعله عمرو من طاعة او معصية ، والا ارتفع الثواب والعقاب لأن العبد اذا لم يكن موجداً لفعله لم يستحق ثوابا ولا عقاباً ، وكان الله مبتدئا بالثواب والعقاب من غير استحقاق من العبد لذلك ، ولو كان كذلك لجاز عقاب الأنبياء وثواب الكفرة الأغبياء ، ولم يبق لأحد وثوق بعمله . ولا يخفى ما في ذلك من تشويش الدين والخبط فى الشريعة .

وأيضاً لولا الإستقلال لبطل التكليف بالأوامر والنواهي والتأديب ، لأنه اذا لم يكن العبد موجداً لأفعاله فكيف يصح عقلا أن يقال : ائت بفعل الايمان والصلاة والزكاة ولا تأت بالكفر وشرب الخمر والزنا ، لأنه تكليف بما لا يطاق ، ولبطل أيضاً فائدة بعث الأنبياء ، وهي دعوة المكلفين الى فعل الطاعات وزجرهم عن المعاصي اذا لم يصدر منهم عمل فيلزم

التكليف بما لايطاق .

والجواب بمنع الملازمات : أما في المدح والذم فلأنهما باعتبار المحلية لاباعتبار الفاعلية ، اذ يجوز ان يمدح الشيء لحسنه وسلامته ويذم لقبحه وعاهته ، فتمدح الجوهرة لحسنها وصفائها ونقائها من العيوب . واما الثواب والعقاب فلأن عادة الله جارية على خلق الثواب عقيب خلق الطاعات وعلى خلق العقاب عقيب خلق المعاصي ، لا أن العبد يوجد الطاعة والمعصية وهما يوجبانهما ، كما يخلق الشبع عقيب خلق الأكل والإحتراق عقيب مسيس النار وإن قدر على أن يخلقها ابتداءاً .

وقولهم : « لو لم يكن الثواب جزاء فعل العبد لجاز عقاب الأنبياء وثواب الكفرة » قلنا : مسلم ولكن جوازاً تحيله العادة أو لاتحيله العادة الاول مسلم والثاني ممنوع ، فلا يشك في انتفاء ماذكروه وان كان جائزاً عقلا ، واما حديث التكليف والتأديب والبعثة والدعوة فلأنها قد تكون دواعي الفعل واجرى الله العادة بترتيب آثارها عليها .

وتخليصه ان الأشاعرة لما وردت عليهم هذه الشبهة ورأوا أيضاً تفرقة بديهية بين مانزاوله من الأفعال الاختيارية ومن حركة المسحور على وجهه والمرتعش ، وذادهم ومنعهم البرهان الدال على أن الله خالق كل شيء عن اضافه الفعل الى اختيار العبد مطلقاً جمعوا بين الأمرين واثبتوا الكسب على التفسيرين السابقين ، فإما ان يقال كون خصوص الفعل من كونه طاعة ومعصية واقعاً بقدرة العبد كاف فى تكليفه وتأديبه ودعوته ، وإما أن يقال العبد اذا صمم على الطاعة يخلق الله فعل المعصية فيه واذا صمم على الطاعة يخلق الله فعل الطاعة فيه . وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن موجداً ، وهذا القدر كاف في التكليف والتأديب والدعوة .

وهذا أيضاً مشكل ، لأن الدواعي والتصميم على فعل من الأفعال

مخلوق لله تعالى ، فلا مدخل للعبد أصلا . ووجه الإعتذار عن هذا الإشكال كما قرره الاصفهاني أن الله تعالى يوجد القدرة والإرادة فى العبد ويجعلهما بحيث لهما مدخل في الفعل لا بأن تكون القدرة والإرادة لذاتهما اقتضت ان لهما مدخلا في الفعل ، بل كونهما بحيث لهما مدخل بخلق الله اياهما على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما ، فان جميع المخلوقات يخلق الله بعضها بلا واسطة وبعضها بوساطة أسباب ، لا بأن تكون تلك الوسائط والأسباب لذاتها اقتضت ان يكون لها مدخل فى وجود المسببات ، بل بأن خلقها الله تعالى بحيث لها مدخل ، فتكون الأفعال الإختيارية المنسوبة الى العبد مخلوقة لله تعالى ، أو مقدورة للعبد بقدرة خلقها الله تعالى فى العبد وجعلها بحيث لها مدخل في الفعل .

والغرض من هذا الفصل إقامة الحجة على المفلوكين وقطع معاذيرهم والجامهم عن التعلق بالقضاء والقدر ، وانه متى نعيت اليهم فلاكتهم او نودي عليهم بها كان ذلك متجهاً مخيلاً ، لأنهم إما فاعلوها استقلالا أو مشاركة وإما بالمحلية والمدخلية على ماسبق تحقيقه .

ولو سلم ان ذلك من باب القضاء والقدر الصرف أو فرضت فلاكة سماوية صرفة ، فكلمات العلماء في مجاري أبحاثهم طافحة بأن القضاء والقدر لايحتج به ، وذلك لما روى مسلم فى صحيحه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اجتمع آدم مع موسى فقال له موسى : يا آدم انت خيبتنا واخرجتنا من الجنة . فقال آدم : اتلومني على امر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة . قال صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى » .

قال النووي في شرحه : فان قلت : فان العاصي منا لو قال هذه المعصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وان كان صادقاً فيما قاله . فالجواب ان هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه احكام

المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها ، وفي لومه وعقوبته زجز له ولغيره عن مثل هذا الفعل ، وهو محتاج الى الزجر مالم يمت ، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة الى الزجر ، فلم يكن فى القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل - انتهى .

فانظر كيف اعترف بحجية السؤال واعتذر فى الجواب بأن الحديث ليس منه ، والقضاء والقدر وإن لم يحتج به في الدنيا فجائز أن يحتج به الأنبياء فى الآخرة لعلو مقامهم عن الإيذاء والتخجيل ، واذا ثبت أن القضاء والقدر لايحتج به في المعاصي فغيرها كذلك ، اذ لاقائل بالفرق أو المقايسة ، لأن العلة التي اقتضت المنع من الإحتجاج بالقدر في المعاصي مطردة فى غيرها من أقداره تعالى بالمناسبة والاخالة .

الفصل الثالث

(في أن التوكل لاينافي التعلق بالأسباب وأن الزهد لاينافي)
(كون المال في اليدين)

ومقصود هذا الفصل يحصل بالكلام على مقامين :

(المقام الأول — مقام التوكل)

التوكل في اللغة عبارة عن اظهار العجز والاعتماد على الغير ، وخص بما يكون الاعتماد فيه على الله تعالى .

وفي الإصطلاح عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر فى جميع الحوادث دون اقتصار النظر على الأسباب الطبيعية ، ودوام حسن الملاحظة يجامع التعلق بالأسباب ولا ينافيها ، وحينئذ فحركة العبد ببدنه أو بتدبيره إما لجلب نفع كالكسب أو حفظه كالإدخار أو دفع ضرّ كمقاومة الصائل

أو قطعه كالتداوي : فأما جلب المنافع ودفع المضار ورفعها فإفضاء الأسباب اليه إما مقطوع به وهي الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ارتباطاً مطرداً ، وإما مظنون ظناً يوثق به وهي المسببات التي ارتبطت ارتباطاً أكثرياً بحيث لايحصل بدونها إلا نادراً ، وإما موهوم وهماً لايوثق به ولا يطمأن له .

فأما المقطوع بإفضائه والمظنون إفضاؤه من الجلب والدفع والرفع كمدّ اليد الى الطعام الحاضر واستصحاب الزاد فى السفر فى البراري المقفرة والمتنحي عن مجرى السيل وعن مفترس الأسد وترك النوم تحت الجدار المائل واغلاق الباب وعقل البعير والتداوي بالأمور المجربة ، فكل ذلك لاينافى التوكل ، وإهماله مراغمة لحكمة الله تعالى في نصب الأسباب وعدم الإكتفاء بالقدرة المجردة ، وجهل بسنة الله وعادته . فمن ترك الوقاع ومدّ اليد الى الطعام وابلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله ، وانتظر ان يحصل له ولد كما ولدت مريم عليها السلام أو أن يخلق الله له الشبع بغير أكل أو يرسل ملكاً فيمضغه ويدخله فى فيه فهو مجنون جاهل بالشريعة ، لأن الاكتساب لإحياء النفس واجب ، والإكتساب لنفقة الزوجة والبعض أصلا كان أو فرعاً فى الثالث الصحيح واجب أيضاً ، ولأن إهمال العيال حرام واهلاك النفس جوعاً حرام واغلاق الباب عليه وسدّ طريق العلم به وامتحان قدرة الأرزاق حرام ، وتصبير النفس على الجوع لمن لاتطيق نفسه ذلك وتضطرب عليه حرام كما قاله علي « الجوع مدة فان كان لايطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل » ـ انتهى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما اهمل بعيره وقال توكلت على الله : « اعقلها وتوكل على الله » .

وقال تعالى : « خذوا حذركم » وقال في كيفية صلاة الخوف : « وليأخذوا

أسلحتهم » وقال « وأعدوا لهم مااستطعتم » وقال لموسى « فأسر بعبادي ليلا » والتحصن بالليل لاخفائهم عن عين العدو نوع تسبب ، واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن عين الأعداء للضرر واخذ السلاح فى الصلاة سبب مظنون .

واما الموهوم إفضاؤه دفعاً وتحصيلا كالرقية والكي والاستقصاء في حيل المعيشة والتدبيرات الدقيقة من وجوه الاكتساب فذلك كله مناف للتوكل ، لأنه من ثمرات الحرص وحب الدنيا لا لمنافاته التوكل بالذات ، لأنا قد قدمنا أن التوكل عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث ، وهذا إنما ينافي الإستقصاء وتدقيق التدبير باختلاف اللوازم لا بالذات ، فحينئذ التوكل هو عدم الاعتماد على الاسباب مفضية كانت الى مسبباتها بالقطع ام لا ، وان يكون الاعتماد على خالقها ، فإن اليد والطعام وقدرة التناول مثلاً كلها من قدرة الله تعالى ، وكيف يتكل على اليد وغيرها وربما تفلج في الحال ويهلك الطعام ، أو يحدث من تناوله مرض يؤدي إلى الهلاك ، أو يتسلط على زاد المسافر غاصب أو سارق وما شاكل ذلك من الآفات ، فيجب أن يعتمد على فضل الله تعالى في دفع جميع هذه الأشياء .

فقد بان واتضح مما قررناه ان ليس من شرط التوكل ترك الأسباب وإطراحها واهمال الكسب بالبدن والتدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة اللقى او كلحم على وضم (١) ، فان ذلك كله حرام في الشرع ولن يتقرب الى الله بمحارمه .

وأما الادخار فما كان منه مع فراغ القلب عن المدخر فليس من

---

(١) في القاموس اللقى كالفتي ماطرح اهـ أي كالخرقة البالية الملقاة ، وقوله « كلحم على وضم » الوضم ماوقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير ، وتركهم لحماً على وضم : ذللهم وأوجعهم .

ضرورته بطلان التوكل ، هكذا صرح به فى الإحياء ، واما غيره فمن انزعج قلبه بترك الادّخـار واضطربت نفسه وتشوّشت عليـــه عبادته وذكره واستشرف (١) الى مافي أيدي الناس فالإدخار له أولى ، لأن المقصود إصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله ، ورب شخص يشغله عنه وجود المـال ورب شخص يشغله عدمه ، والمحذور هو الشغل عدماً كان أو وجوداً ، فالدنيا فى عينها غير محذورة لاوجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث صلى الله عليـه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون ـ أي اهل الحرف والصنائع ـ فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ، ولا امر التارك لهما بالإشتغال بهـما ، بل دعا الكل الى الله وأرشدهم الى أن نجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا ، فصواب الضعيف ادخار قدر حاجتـه كما أن صواب القوي ترك الادخار ، وكذلك المعيل لايخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم .

وقد ادخر صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنته ، وأما نهـي ام أيمن عن ان تدخر شيئاً لغد ، ونهـي بلال عن الإدخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال « انفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقـــلالا » فلأن الادخار يضرّ بعض الناس دون بعض ، وكذلك ماروى أبو أمامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن ، فقال صلى الله عليه وسلم « فتشوا ثوبه » فوجدوا فيه دينارين في داخل أزاره فقال صلى الله عليـه وسلم « كيتان » .

وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً كثيرة فلا يقال ذلك في حقه ، ووجه الجمع بين هذين الأمرين ان اظهار الزهد والفقر والتوكل مع تلك الدنانير تلبيس .

---

(١) استشرف الى الشيء : تطلع اليه .

قلت : رأيت في ترجمة النجم الخبوشاني الآمار بالمعروف النهاء عن المنكر للملوك فمن دونهم الذى يضرب به المثل فى الزهد انه لما مات وجدوا له ألوف دنانير ، هذا مع مبالغة المترجمين له فى الثناء عليه ، ومع ما فى ترجمته من أنه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير ويركب الحمار وآنية بيته كلها خزف ، فهذا الكلام مع نبوه عن هذا المقام سهل ذكره ماذكره العلماء في الجمع بين حديث الدينارين وعدم انكار الأقوال الكثيرة في ميت آخر وان ذلك لما ان اظهار الزهد والباطن بخلافه تلبيس ، فاعجب لحال الخبوشاني واعجب ولا تغتر .

(المقام الثاني فى أن الزهد لاينافى كون المال في اليدين)

الزهد في اللغة الرغبة عن الشيء ، خصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا . وفى الإصطلاح ترك المباح المحبوب المقدور عليه لأجل الله .

وفى ضابطه قيود :

« الأول » - ترك المباح ، فتارك المحظورات لايسمى زاهداً .

« الثاني » - المحبوب ، فتارك مالايؤبه اليه كالتراب والحجر لايسمى زاهـــداً .

« الثالث » - كونه لأجل الله ، فبذل المال وتركه على سبيل السخاء والفتوة واستمالة القلوب والطمع في الثناء لايكون زهداً ، إذ الذكر والثناء وميل القلوب أهنأ من المال ، فهو استعجال حظ آخر للنفس .

« الرابع » - المقدور ، فمن ترك مالا يقـــدر عليه كغير ابن أدهم من أمثالنا في دعوى الزهد في الملك لايكون زاهداً . وفي إفراد المباح اشارة الى ان الزهد يتبعض كما ان التوبة تتبعض ، فمن ترك بعض التمتعات من الشهوة والغضب والرياسة دون بعض كان زاهداً .

وأما القانع فهو المرجح لوجود المال على عدمه ترجيحاً لايحمله على

الدأب فيـــه ، فقولنا « المرجع » خرج به من لايحب حصوله ولا يكره زواله وهو الراضي، وقولنا « ترجيحاً لايحمله على الدأب فيـه » خرج به من يتركه عجزاً ويسعى فيه ماوجد اليه سبيلا وهو الحريص .

وهذه المرتبة – وهي مرتبة الحرص – وان كانت دنيا فان لها فضلا لدخولها تحت العمومات الواردة فى فضل الفقر ، وذلك جمع بين قوله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام » وبين قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « بأربعين خريفاً » أي اربعين سنة ، بأن الاول تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب ، والثاني تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب ، فكأن الفقير الحريص على درجتين من خمسة وعشرين درجة من الفقـير الزاهد ، إذ هذه نسبة الأربعين الى الخمسمائة .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » فلا يقتضي ان الحريص لاثواب له على فقره ، لأن العمومات تقتضي ان له ثواباً ، فلعل المراد بعدم الرضا الكراهة لفعل الله من حبس الدنيا عنـــه ، ورب راغب في المال لايخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة لفعله .

إذا عرفت تمايز هذه الحقائق بمسمياتها واسمائها فاعلم ان وجود المال في اليـــدين لافي القلب ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها لاينافي الزهد ، فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح ، فكم من الرهابين من رد نفسه في كل يوم الى قـــدر يسير من الطعام ولازم ديراً لاباب له ، وإنما أعلى المقامات ان يستوي عنـد القلب وجود المال وفقده ، فان وجده لم يفرح ولم يتأذ ، وكذلك ان فقده .

وقـد روي عن عائشة انها فرقت في يوم مائة الف درهم ، فقالت

لها جاريتها : هلا شريت لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ فقالت : لوذكرتني لفعلت . وذلك لأن الكاره للدنيا (١) مشغول بالدنيا ، كما ان الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله حجاب عن الله ، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه مشغول عن الله ايضا ، بل كل ماسوى الله .

مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق ، فان التفت قلب العاشق الى الرقيب وبغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه به منصرف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ، فكما أن النظر الى غير المعشوق بحب شرك كذلك النظر الى غيره ببغض شرك فيه ونقص .

وأما هروب الأنبياء والأولياء والأكابر من الدنيا فذلك لأن الدنيا خداعة مدعاة الى الشهوات والراحة في بذلها أنس بغير الله ، والأنس بغير الله بُعد عن الله ، فالأنبياء والأولياء يتركون الدنيا للتشريع والتعليم والخوف على أتباعهم من أن يتشبهوا بهم مع عدم قوتهم فيهلكوا.ومن دونهم ممن لاقوة له يترك ذلك احتياطاً وحزماً ، فان استواء الذهب والحجر في القلب عسير ومزلة قدم ، وهو حال الانبياء وأفراد الاولياء .

ويوضح لك ان المال في اليدين بدون القلب لاينافي الزهد ، إن خزائن الأرض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها . وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وخمسون ومائة الف دينار ، وترك الف بعير بالربذة ، وترك صدقات كان يتصدق بها

---

(١) اى بكراهتها ، فهو دائما يعمل نفسه فى التنحي عنها والتخلص منها كما ان الراغب فيها مشغول بتحصيلها ، فهو في كلتا الحالتين مشغول بها دفعاً وتحصيلا .

بين اريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار ، وكان للزبير عند وفاته خمسون الف الف ومائتا الف .

قال عروة : كان للزبير بمصر خطط وبالأسكندرية خطط وبالبصرة دور ، وكانت له غلات تقدم عليه من اعراض المدينة. وترك عبدالرحمن ابن عوف الف بعير وثلاثة آلاف شاة . قال ابن سيرين : كان فيما ترك ذهب قطــع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه ، وترك اربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين الفاً .

قال ابو الاسود عن عروة : اوصى عبد الرحمن بن عوف في السبيل بخمسين الف دينار . وروى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : كان طلحة يغل بالعراق مابين اربعمائة الف الى خمسمائة الف ، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو اكثر ، وبالأعراض له غلات ، وكان يرسل الى عائشة اذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف ، وقضى عن صبيحة التيمي ثلاثين الف درهم .

وقال الواقدى : حدثني اسحق ابن يحي عن موسى بن طلحة ان معاوية رضى الله عنه سأله كم ترك أبو محمد يعني طلحة من العين ؟ قال : ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار .

وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة : كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناض ثلاثين ألف ألف درهم ، وترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار ، والباقي عروض .

وقال علي بن رباح : قال عمرو بن العاص حُدثت ان طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كــل بهار ثلاث قناطير من ذهب . قال : وسمعت ان البهار جلد ثور ، والبهار لغة ثلاثمائة رطل . قال ذلك كله ابو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى في طبقاته الكبرى .

وايضاً كان لسعد بن ابي وقاص والبراء بن معرور السلمى والعباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر اموالا كثيرة . ويدل على ذلك ان العباس فدى نفسه وابن اخيه عقيلا بثمانين أوقية ذهبا ويقال ألف دينار . وما روى عن عبد الله بن عمر انه كان اذا رأى من رقيقه امرأ يعجبه اعتقه فعرف رقيقه منه ذلك فشمروا للعبادة فأعتقهم، فقيل: له انهم يخدعونك. فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له . وماروى ان سعد بن ابي وقاص قال : مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت : يارسول الله مال كثـــير وليس يرثني إلا ابني أفأوصى بثلث مالى ؟ قال : لا ـ الحديث .

فهذا كله مما يدلك ان الدنيـــا ليست مكروهة لعينها والا لأمرهم صلى الله عليه وسلم بالإنسلاخ من اموالهم. واما المسألة المشهورة فى التفضيل بين الغنى الشاكر والفقير الصابر ، فذهب ابن عطاء الله قدس الله روحه الى تفضيل الغنى ، وخالف في ذلك الجنيد وجمهور الصوفية ، وما اوردوه عليه من ان الغنى وصف الحق والفقر وصف العبد وصفات الربوبية لاينازع فيها ، معارض بأن العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد فليكونا أفضل له .

ثم لاشك ان الفقير القانع أفضل من الغني الحريص ، والغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص .

قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : الذي تقتضيه الأصول انهما ان تساويا وحصل الرجحان بالعبادات المالية يكون الغنى أفضل ، ولاشك في ذلك وانما النظر فيما اذا تساويا في أداء الواجب فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما يوفيـــه ، فاذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الأفضلية ، فان فسر الأفضل بزيادة الثواب فالقياس يقتضى ان المصالح

المتعدية افضل من القاصرة ، وان كان الأفضل بمعنى الأشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل للنفس من التطهير للأخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف ، فترجح الفقر . ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر ، لأن مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغني ، فكان أفضل بمعني الثرف. هكذا قاله ابن دقيق العيد فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » لما شكى له ان الفقراء قالوا : ذهب أهـل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ـ الحديث .

فقد بان لك واتضح بالكلام في هذين المقامين ان التعلق بالأسباب لا ينافي التوكل ، وان وجود المال في اليدين لا في القلب لا ينافي الزهد، والمقصود إلجام المفلوكين عن التعلق بالزهـد أو التوكل في انزواء الدنيا عنهم جدلا مهما كانوا محتجين لا زاهدين حقيقة فان الزاهد حقيقة لا كلام معـه ، لأن الزهد كما لا ينافي المال لا يستلزمه ، وغايته ان الزهد على قسمين : قسم مع المال ، وقسم لامع المال . فلا منافاة ولا استلزام له .

الفصل الرابع

في الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها

وهي أكثر من ان تحصى او يحملها القلم :

(فمنها) ضيقة العطن والنزق (١) ، وذلك ان طبيعة الفرح والسرور هو تفشي الروح الحيواني وتخلخله ، وينشأ من ذلك سعة الصدر وقبول النفس لما يرد عليها وانفعالها له ، ولذلك تتحين أصحاب الحوائج بحوائجهم

(١) هو كنايـة عن انقباض الصدر ، والنزق بالتحريك : الخفة والطيش عند الغضب .

سرور من يسألونه اياها . وطبيعة الكمد والقبض هو تكاثف الروح الحيواني وتجمعه ، وينشأ منه ضيقة العطن والنزق وسوء العشرة والإنحراف والإنكماش عن الخلق .

(ومنها) ان الفلاكة يلزمها القهر والإكراه ، ومتى استولى القهر والغلبة على شخص حدثت فيه أخلاق رديئة من الكذب والتخبيب وفساد الطويةوالخبث والخديعة، ولذلك كانت اليهود موصوفين بالخبث والذل والخديعة لاستحكام القهر عليهم وغلبة الإكراه على عامة احوالهم ، ولذلك ايضاً ينهى عن ارهاف الحد على الولدان والعبيد ويؤمر بترويحهم ومدّ الطول لهم خشية عليهم من اكتساب هذه الأخلاق الذميمة .

ارسل هارون الرشيد الى خلف الأحمر لتأديب ولده الأمين ، فقال له : إن امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة فؤاده فكن له حيث وضعك امير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وامنعه من الضحك إلا في اوقاته ، ولا تمرز بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياهـا من غير ان تخرق به فتميت ذهنه او تهمله فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالتقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

(ومنها) الحقد ، وذلك انـه إذا استحكمت الفلاكة وعرف بها شخص اوسعـه الناس اغاظة استهواناً به وعدم مبالاة بغضبه وأمناً من غائلته ومغبته ، فاذا تواردت موجبات الغضب وازدحمت عليه من توقيفه على نقائصه والإغماض عن كمالاته وتقريعه بزلاتـه وتوبيخه على تقصيره وهتك استاره واذاعة اسراره وجبهه بأقبح الكلام في وجهه وعدم اعتباره والمبالغة من عتبـه ومعاكسته في مراده ، او عدم اسعافه به وعجزه عن الوقوف في ذلك موقف نكير ، أو أن ينفس غيظه منه بنفثة مصدور او

ضربة موتور ، واستبحرت اسباب الغيـظ وزخرت امواج العجز عن اطفائه بالانتقام عاد ذلك الى الباطن وأجج فيه ناراً وتحول حقداً وضغينة وسخيمة ، وتعوقه موانع الفلاكة عن اعماله فيصير ألما صرفاً ووسواسا سوداوياً ومعصية مجردة .

(ومنها) الحسد ، وتوجبه الفلاكة من وجوه :

« احدها » – انه اذا توالت مقتضيات الغيظ كما قدمنا وعجز المفلوك عن الانتقام تحول ذلك حقداً وضغناً كما مر ، والحقد يقتضي الإنتقام فان عجز أحب ان يتشفى منه بانتقام الزمان له منه ، وربما يحيل ذلك على كرامته عند الله ، وربما يظهر أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم منه. وبالجملة فالفلاكة يلزمها الاغاظة ، والاغاظة يلزمها الحقد ، والحقد يلزمه ارادة الانتقام ، والعجز عن ذلك يلزمه حب زوال تلك النعمة التي بها التفاوت اللازم منه الا غاظة ، ولازم لازم الشيء لازم لذلك الشيء .

« وثانيها » – ان يثقل على المفلوك أن يترفع عليه غيره ، فاذا أصاب مساو له في صفات النفس مالا اوجاهاً وخاف ان يتكبر عليه وهو لايطيق ان يتكبر عليه ولا تسمح نفســه باحتمال صلفه وتيهه وتفاخره عليه وان يستصغره ويستخدمه وعجز عن زوال الفلاكة عنه واللحوق به في تلك النعمة أحب زوالها عن غيره .

« وثالثها » – مايحدث فى نفوس المفلوكين من دعوى الاستحقاق لتلك النعم ، والذلك قال ابن مقلة :

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة في شامخ من عزه المترفع
قالت لي النفس العروف بقدرها ما كان أولاني بهذا الموضع

حتى ان من المفلوكين من تنتهى به دعوى الاستحقاق الى حد يرى ان النعم التي بأيدي الناس استحقاقه ومغصوبة منه ، والمالك المستحق طالب

لزوال ماله من ايدى الغاصبين لا محالة .

(ومنها) الغيبة والطعن في اعراض الناس والغض منهم ، وذلك ان الغضب والحقد والحسد ثلاثتها من البواعث العظيمة على الغيبة ، اذا امتلأ المفلوك غضباً وحقداً وحسداً وعجز عن الجري على مقتضاها جهاراً ومواجهة التجأ الى الفكرة والغوص على مساوىء خصومه وإعمال الحيلة في الاطلاع على عوراتهم ، وضم اليها اكاذيب وتنميقاً ونشرها على وجه الغيبة مرة ارادة الترفع بنفسه بسلامته من تلك النقائص او لا تصافه بنقائضها الكمالية على سبيل التعريض ، كما يقول فلان فاسق او شرير ارادة سلامته من ذلك ، او فلان جاهل او ذهنه ركيك وكلامه ضعيف تعريضاً باتصافه بنقائض ذلك ، ومرة ارادة صرف الناس عن الاسترسال في تعظيم خصومه وكفهم عن الإفراط في الثناء عليهم ومحبتهم بتوقيفهم على ما يوجب تنقيصهم وصرف القبول عنهم ، ومرة بتمهيد عذر نفسه من اتصافه بالمساوىء والنقائص بمشاركة العظماء له فى تلك المساوىء ، ومرة على سبيل اللذة بالطعن في الأعراض تشفياً بحسب المقدور ، حتى قال بعض الأعراب : لم يبق من لذات الدنيا الا الطعن في اعراض اللئام .

ثم يتعود لسانه هذه المعصية العظيمة حتى تصير له خلقاً وفكاهة ونقلا ويساعده على ذلك امكانها وتسهيلها وعدم افتقارها الى أدوات وآلات ، وكونها عبـــارة عن النطق الذي هو انضغاط الهواء فى المجرى على مقاطع الحروف ، والهواء والتنفس طبيعي للحيوان بخلاف غيرها من المعاصي لتوقفه على أدوات كثيرة .

وايضاً فالانسان خلق فعالاً بالطبع كما ذكره الشيخ في الإشارات ، ولا يتخلف عن مقتضى طبعه من الفاعلية إلا لصارف وصاد كما في الأفعال الشاقة التي لا يمكن مزاولتها الا بتجشم الكلف والمؤن ، وكما في الصارف

العقلي أو الوهمي من الكلام المضر ، فمهما وجد المقتضى وزال الصارف عن الفعل كما في الكلام عملت الطبيعة عملها ، ولذلك كان الامتناع من الكلام ولزوم السكوت عسيراً شديداً .

(ومنها) كون الفلاكة غطاءاً وستراً على محاسن المفلوك وكمالاته النفسانية وأدواته ومعارفه ، حتى ان الفلاكة تسري الى نطقه ومصنوعاته ومقاصده ، فإما ان يغفل عن محاسن كلامه ومقاصده ولا يعبأ بها ويعرض عنها ، وإما ان يصرف كلامه عن ظاهره بوجه من التأويل ، وإما ان لا يفهم مراده منه ، وإما ان يدعى عليه غير مراده ، وإما ان يدعى فساد قصده فيه . ولذلك تروج بعض الكتب بنسبتها الى رجـــل مرموق بعين الجلالة كما فعل في الورقات حيث نسبت الى إمام الحرمين ، وليست له بشهادة عباراته الفائقة الرائقة في باقي كتبه ومخالفة الورقات لما في البرهان في التصحيح والحكم ، وكما فعل فى السر المكنون وفي المضنون به على غير اهله حيث نسبا الى الغزالي كما قاله الأسنوى في الطبقات وليسا له كما ذكره في الطبقات

ولذلك ايضاً تجد البحث النفيس يلقيه الباحث بين الأفاضل فيبادرونه بالانكار والتزييف والمناقشة ويضايقونه فيه حتى يقول لهم هذا البحث قاله الامام فخر الدين الرازي او الزمخشري مثلا او من في معناهما ، فحينئذ يرجعون الى ذلك البحث بالتأويل والتثبت ويعترفون بحسنه ، وربما يزيدونه توجيهاً وتقريراً .

ولكون الفلاكة غطاءاً وستراً على المحاسن تجـــد الشهرة والصيت والسمعة يقعن في غير موقعها غالباً ، فرب شخص مشهور بالعلم أوالصلاح وليس هناك ، ورب شخص قعدت عنه الشهرة وهو أحق بها ، وذلك لأن الفلاكة متى زالت عن شخص تزلف اليه بالثناء عليه ونشر المحاسن عنه وحمل كلامه وفعله من المحاسن والمقاصد الجميلة فوق طاقته وتناقلته

الألسنة تزلفاً اليه ، لما يعلمون من ان النفوس مجبولة على حب الثنـــاء ، ووقعت المحاباة والاغماض عن احواله المدخولة وافرغت في قوالب جميلة بالتأويل والاعتذار وجاءت المغالطات بالتلبيس والتصنع ، فيطير ذكره في الآفاق وتسير به الركبان ويجيء الصيت والشهرة وليس هناك .

وعلى الجملة فالشهرة انما تقـــع في غير موقعها من جهة ما يطرق الاخبار من التزلف بالثناء الكاذب او ما يطرق الأحوال من الخفاء وعدم تطبيقها على الواقع لخفائها بالتلبيس والتصنع ، فتنتشر على خلاف ماهي عليه

وانت خبير بأن التزلف بالثناء انما يكون للأغنياء او من فى معناهم وان الإغماض عن التلبيس والتصنع وعدم كشف الغطاء عنه انما يكون لهم أيضاً ، واعتبر العكس بالعكس .

(ومنها) ان الفلاكة مهما استولت على عالم او فاضل او نبيه لزمه بسببها آلام عقلية ، ولا شك ان الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني ، ولذلك يكون التعب القلبي أشد إنهاكاً للبدن من التعب الجسماني ، ولذلك يتحمل عظيم المشاق البدنية خوفاً من العتب والتوبيخ والملامة والتقريع كما ان اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية . والدليل على ذلك من ثلاثة اوجه:

« اولها » ـ ان اللذة عبارة عن إدراك الملائم ، وكلما كان الادراك أشـــد والمدرك اشرف كانت اللذة أتم ، لكن الادراك العقلي أقوى من الجسمى ، لأنه ينفذ في باطن الشيء فيميز بين الماهية واجزائها وعوارضها وجنسها وفصلها ، وأما الحسي فلا شعور له إلا بظاهر المحسوس وسطوحه ومدرك العقل أشرف وهو الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفية وضع العالم ومدرك الحس السطوح وعوارضه ، واذا كان كذلك وجب كون اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية . « وثانيها » أنا نعلم بالضرورة ان احوال الملائكة اطيب من احوال البهائم ، وليس للملائكة شيء من اللذات الحسية

فلولا ان اللذة العقلية أطيب والا لكان حال البهائم أطيب من حال الملائكة.
« وثالثها » الحيوان قد يرجح غيره على نفسه في المطعوم والمشروب عند حاجته اليه ، ولولا أن لذة الإيثار أقوى من لذة المطعوم والمشروب والا لما كان ذلك ، بل الشجاع قد يلقى نفسه في المعركة مع ظن الهلاك أو يقينه ، وما ذلك إلا لأن لذة الحمد أقوى من لذة الحياة ، واذا ثبت ذلك في اللذة ثبت مثله في الألم العقلي والجسمانى ، لان نسبة هذا الألم الى الألم الجسماني كنسبة اللذة العقلية الى اللذة الجسمانية ، وكلام الفلاسفة وابن سينا طافح بأن الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني .

اذا تقرر ذلك كله فللمفلوكين من أهـــل العقل والفضل والنباهة آلام عقلية تلزمهم :

« أولاها » ـ تشوفهم وتشوقهم الى المكارم والمعالى ومدّ أعناقهم نحوها ولا شك أن الشوق الى المشوق مع عدمه وعدم التمكن من تحصيله وعدم الإشتغال بما يلهى عنه عذاب مذاب ، ولذلك لا يبتهجون بالأعياد والمواسم بل تكون زيادة في كمدهم ، وستأتى اشعارهم فى تشوقهم الى المعالى وتألمهم على فقدها في الفصل الثاني عشر إنشاء الله تعالى .

« وثانيها » ـ تألمهم بذكر نقائصهم الواقعة منهم أحياناً بحكم البشرية ، لما ركب الله تعالى في البشر من القوة الشهوانية والغضبية والمتوهمة اللواتى هي أصول الفساد ، وهي المشار اليها في قوله تعالى : « الى ظل ذى ثلاث شعب » في أحـــد الأقوال ، ولما ان للقلب ميـــلا الى الأخـــلاق السبعية والبهيمـــية والشيطانيـــة على ما هـــو مقـــرر في كتب الصوفيـــة ، ولما ركب ايضاً في الجسم من التسفل ، ولما جعل من ان الفساد أدخل تحت القدرة من الصـــلاح كالبناء والهدم ، ولا شك ان اطلاق النفس وطبيعتها ترويح لها وتنفيس من ألم ضبطها ، وحينئذ فيكون الترويح والتنفيس

بالنسبة الى المفاليك ناقصاً مخدجاً (١) لما فيه من ترقب التنقيص به ، ويكون ايضاً عسير الانتظام نادر الوقوع لذلك ، ولقد أحسن من قال :

إما ذنابى ولا تعبأ بمنقصة   اوذروةالمجدواحذر أنتقع وسطا (٢)

وأشد من ذلك ألماً واعظم مصيبة اضافة النقائص الموهومة او المكذوبة اليهم وهم منها برآء ، ولقد عرى اهل الفضل من ذلك شدائد . كان الزمخشري ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ساقط احدى الرجلين ، وكان يمشي في خاوب من خشب لسقوطها بالثلج في بعض أسفاره في بلاد خوارزم ، فكتب معه محضراً فيه شهادة خلق كثير بذلك لئلا يرمى بنقيصة السرقة .

وكان ابن فضلان ابو القاسم يحيى بن علي بن الفضل البغدادي الملقب جمال الدين الإمام في الأصول والخلاف والجدل الرئيس الوجيه ذاهب احدى اليدين ؛ لأنه لما خرج من نيسابور سقط عن دابته ففسدت يده وأدت الحال الى قطعها ، فعمل محضراً بذلك خوفاً من التهمة بالقبيح ومع ذلك فقد كان يجري بينه وبين المجير البغدادي مناظرات فيشنع هو على المجير بالفلسفة والمجير يشنع عليه بقطع يده .

والسبب في تخصيص أهل الفضل باذاعة نقائصهم وعدم اقالتهم اياها والتلبيس والافتراء عليهم مهما كانت محققة أو موهومة محتملة ان النفوس مجبولة على المساواة والمباهاة ولا تحب لغيرها تفوقا عليها ، فمهما وجدت سبيلا للتنقيص من كمال الكمل ولو تلبيساً مقبولا سلكته تنقيصا للكمال وطلبا

---

(١) هو من اخدجت الناقة : جاءت بولد ناقص وان كانت ايامه تامة ، ويقال رجل مخدج اليد : ناقصها .

(٢) الذنابي مثل حبارى: الذنب ، وذروة الشيء اعلاه ، اي كن ذنباً سافلا او ذروة عالياً راقياً .

للمساواة بحسب الإمكان ، بخلاف الناقص في نفسه فانه لاحاجة الى تنقيصه

« وثالثها » ـ ألم الانفراد مع ان الانسان مدني بالطبع لايمكنه أن يستقل بنفسه منفرداً عن الغير بحيث لا يستعين بأحد في حاجاته وضروراته بل لاقوام لأحواله الا بالتعاون ، حتى ان الرغيف من الخبز لايصير رغيفاً الا بآلات واعمال تفتقر الى صناع كثيرين كثرة بالغة .

والمدنية في اصطلاح الحكماء هي الإجتماع ، ولما ان الانسان مدني بالطبع في احواله الكمالية والمصلحية فلا يمكنه ان يستقل بنفسه منفرداً عن الغير بحيث لايستعين بأحد في اموره الكمالية والمصلحية والوجدان ، والتجربة اصدق شاهد في ذلك والمناسبة والاخالة تصحح القياس والالحاق والمفاليك يلزمهم الانفراد لزوماً لا انفكاك لهم عنه . والسبب في ذلك ان الناس بالاضافة الى المفلوك اربعة اقسام : مساوله فى الفلاكة ، اكثر منه فلاكة ، اعلى منه بقليل ، اعلى منه مطلقاً. ووجه الحصر أن المأخوذ بالاضافة الى المفلوك : إما مفلوك أو غير مفلوك ، والاول إما مساو او انزل ، والثاني إما أعلى بقليل او اعلى مطلقا .

إذا تقرر ذلك فالقسمان الأولان لافائدة فى الاجتماع بهما ، لأن حكمة التمدن مفقودة فيهما ، وغاية الاجتماع بهما تضاعف الفلاكة وتكاثفها وتغليظ الحجاب الحاجب عن المقاصد ، كانضمام ظلمة الى اخرى وكغسل العذرة بالبول . والقسم الأخير يمنع من الاجتماع به أمور اعظمها ان العظماء والنبلاء يحرصون على سد الذرائع في اطماع المفلوكين في جانبهم بتبعيدهم والاعراض عنهم خشية من تثقيلهم بحوائجهم وان يكونوا كلا عليهم ، وانهم يتأنفون المفاليك ويستقذرونهم ويستثقلون ظلهم ويتوقعون من تقريبهم مفاسد وضوحها يغني عن بسطها ، ويتوهمون في بعضهم حسداً وتملقاً كاذبا

صاخياً (١) من غير اخلاص ولا مناصحة . والقسم الثالث يمنع من الاجتماع بهم امور كثيرة أعظمها عدم تعلق الرجاء والخوف بالمفاليك الذي هو داعية الاجتماع غالبا ، وشغل هذا القسم بالمساوين لهم في النباهة بحيث لايفضون للاجتماع بالمفاليك غالبا وعدم حرص المفاليك على استمالتهم واستعطافهم لضعف الرجاء فيهم ، ولكن هذا القسم أقل مانعا من القسم الاخير ، ولذلك ربما نال بعض المفاليك حظاً من الاجتماع بهم .

(ومنها) ولوعهم بالاسفار ومخاطرتهم بنفوسهم فيها مع مافيه من العذاب المذاب ، بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب » ولقد صرح بتعليل السفر بالفلاكة من قال :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

والسبب في ذلك يفتقر بيانه الى مقدمة ، وهي : ان الظن اقوى من الشك ، والعلم أقوى من الظن ، ورتب الظنون متفاوتة في نفسها جلاءاً وخفاءاً وأجلى لقوة مستند الظن وضعفه ، وكذلك رتب العلوم متفاوتة في المعلومية ، فكم بين المشاهدات وبين كل قضية صدق العقل بها بواسطة الحس كعلمنا بحرارة النار وبرودة الثلج ، وبين الحدسيات وهي كل قضية يصدق العقل بها بواسطة الحدس كالعلم بحكمة الصانع عند رؤية العالم على غاية الإتقان من التفاوت وان كان كل من المشاهدات والحدسيات مفيداً للعلم ، ولذلك لم ينكر العلم المستفاد من الحس إلا السوفسطائية ، وكم بين العقلاء من الإختلاف فى الحدسيات اختلافاً قوياً وضعيفاً ، ولذلك ايضا فرقوا بين علم اليقين وعين اليقين . ومن هنا ينكشف لك مادة الجواب عن قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم « بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

ثم الانسان متشوف الى مصلحته ، فاذا تعارض عنده في تحصيل

---

(١) فى القاموس صخي الثوب كرضي : اتسخ ودرن ... ومنه يفهم المراد

مصلحته طريقان احدهما مظنون والآخر مشكوك فيه او احدهما أجلى في الظن من الآخر او احدهما أقوى في المعلومية من الآخر فالعمل بهما معاً جمع للنقيضين وتركهما معاً رفع للنقيضين وكلاهما محال ، والعمل بالمرجوح وترك الراجع خلاف صريح العقل ، فيتعين العمل بالراجح .

إذا تقرر ذلك فالسبب في كثرة تنقلات المفلوكين في الأرض أنه متى استولت الفلاكة على شخص في بلد واضطرب في ارجائها وتلكع في طرق معاشها وذاق طبائع اهلها وراز شهامتهم وعصبيتهم وارتياحهم الى المحامد وأريحتهم وامتحن قوته في التسلق الى مطالبه وأبت تلك البلد عليه الا نبوا ودفعا وممانعة عن المطلوب ومل وجوهاً لاخير فيها ومج سمعه كلاما لايحصل له وقذفهم بقلبه فقذفوه بقلوبهم بل وبظواهرهم ، فحينئذ يظن او يعلم ان تأتي المصلحة في ذلك البلد مستحيل او متعسر ، والبلد الثاني ظن الخير قائم به لاسيما فيمن يتوهم في نفسه استعداداً لافاضة الخير عليه ، فيحب حينئذ السفر الى البلد الثاني .

والأقيسة العقلية وان اقتضت استمرار الفلاكة في البلد الثاني من جهة ان موجبات الفلاكة القائمة بالمفلوك مصاحبة له سفراً وحضراً وكذلك موجبات فلاكته القائمة بالناس موجودة فيهم في كل بلد ، لكن الأدلة متعارضة في البلد الثاني ، والعلم المستفاد بالتجربة في البلد الاول مفقود في البلد الثاني ، والاحتمالات مقتضية للاضطراب ، وليس الخبر كالعيان ولا الشر الحاصل المحسوس كالشر المترقب المعقول وان كانا معلومين ، ولذلك من قصده شخص بسيف مصلتاً يريد قتله وهو على سطح عال يرمي بنفسه منه الى الارض وان كان ذلك احد الطريقين في هلاكه ، وربما صار السفر للمفلوك طبيعياً لكثرة مايعاني من الشدائد والمشاق، كمن وقع في ماء أو نار فانه بطبعه يأخذ الى محيط النار وساحل الماء .

وإذا اتضح عندك ماقررناه وقفت على الحكمة في تمني المفلوكين تغير الدول وتشوفهم الى ذلك ، فان الدولة الحاضرة كالبلد الأول والدولة المتمناة كالبلد الثاني ، وقوة الرجاء وقيام احتمال الخير المتعلق بالدولة الثانية حكمه حكم البلد الثاني ، وقد اشار الى ذلك من قال :

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ ٍ   نصيب من الدنيا تمنى زوالها

(ومنها) تعلقهم بالأسباب المستحيلة كالنجوم والكيمياء والمطالب والحرف الهوائيه الضعيفة الصدفية كصناعة الشهود اغير المعروف والدلالة لغير المشهود ، والسبب في ذلك انه اذا أخفقت مساعي المفاليك وعجزوا عن المعاش الطبيعي والتعلق بالأسباب المقيسة المطردة ودهشوا وتحيروا وعميت عليهم الأنباء وتعلقت نفوسهم بالدنيا ولذاتها تمنوا الأماني وقنعوا بمخادعة الإملاق بالمواعيد الكاذبة واستنشقوا الغنى من حيث لاتهب ريحه وأتوا السعادة من غير ابوابها ، وأنا ابين وجه استحالة الأسباب الاول وهي الكيمياء والنجوم والمطالب واستحالة افضاء التعلق بالسبب الآخر الى المطلوب :

فأما النجوم فنقول : ليس البحث في تأثير شعاع الكواكب في التسخين عند المسامتة او التبريد عند الإنحراف عن المسامتة ، ولا فى وجود الضياء في المواضع التي تطلع فيها الشمس والقمر وعدمه فيما غابا عنه ، ولا فيما يجري مجري التأثير الطبيعي على حسب مانصه سبحانه وله الحمد، مثل ان النبات ينمى ويقوى ويشتد ويتكامل وينضج ثمره بالشمس والقمر وكما فى امتداد القثاء وطوله وغلظه بالقمر ، وسرعة نضج التين وادراكه بمقابلة الشمس وبقائه فجاً بطيء الادراك بخفائه عن الشمس ، ومثل ان البرد بسبب بعد الشمس عن سمت رؤوسنا وقوة الحر بسبب قرب الشمس من سمت رؤوسنا ، وكذلك ليس البحث في أن الشمس اذا طلعت فان

فإن الحيوان ناطقه وبهيمته يخرج من اماكنه واكنته وتظهر القوة والحركة فيه وتزداد قوة الحيوان مع ازدياد صعود الشمس في الربع الشرقي وتنقص وتضعف قوة الحيوان وتفتر مع ميل الشمس عن وسط السماء ، ولا في ارتباط فصول العام الأربعة بحركات الشمس ، ولا في انفتاح اللينوفر وورق الخطمي وتحركه بطلوع الشمس وضعفه إذا غابت عنه ، ولا في المدّ الحاصل في بحر فارس والهند اذا بلغ القمر مشرقا من مشارق البحر الى ان يصير القمر الى وسط سماء ذلك الموضع ، ولا في الجزر الحاصل في البحرين المذكورين ، ولا في تأثير الشمس والقمر حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وتوابعها في هذا العالم من الحيوان والنبات بواسطة الهواء وقبوله للسخونة والحرارة بانعكاس شعاع الشمس مثلا عليه عند مقابلتها لجرم الأرض واختلاف حال الهواء بذلك واختلاف أحوال الأبخرة فى تكاثفها وبردها ولطفها وحرها ، ولا في أن السودان لما كان مسكنهم خط الاستواء الى محاذاة ممرّ رأس السرطان وكانت الشمس تمر على رؤوسهم فى السنة إما مرة او مرتين تسودت ابدانهم وجعدت شعورهم وقلت رطوباتهم فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم ، ولا في اهل الهند واليمن وبعض اهل المغرب لما كانت مساكنهم اقرب الى محاذاة ممر السرطان كان السواد فيهم اقل وطبائعهم واخلاقهم احسن واجسامهم انصع ، ولا فى اهل العراق والشام وخراسان وفارس والصين لما كانت مساكنهم على ممر رأس السرطان الى محاذاة بنات نعش الكبرى والشمس لاتسامت رؤوسهم ولا تبعد عنهم بعداً كثيراً وأن لذلك لم يعرض لهم حر شديد ولا برد شديد كانت ألوانهم متوسطة واجسامهم معتدلة واخلاقهم فاضلة ، ولا في أن هؤلاء مختلفون بحسب اختلاف ذلك : فمن كان من هؤلاء اميل الى ناحية الجنوب كان اتم فى الذكاء والفهم ، ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق

فهم اقوى نفوساً واشد ذكورة ، ومن كان يميل الى ناحية الغرب غلب عليهم اللين والرزانة ، ولا في أن الترك والصقالبة لما كانت مساكنهم محاذية لبنات نعش والشمس بعيدة عن مساكنهم كان البرد غالبا عليهم ، لأنه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها ، وكان لذلك ألوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقراء وابدانهم رخصة وطبائعهم مائلة الى البرودة واذهانهم جامدة ولا في ان الأخلاط التي في بدن الانسان تزيد مادام القمر آخذاً في الزيادة ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسناً ، فاذا نقص ضوء القمر صارت هذه الاخلاط في غور البدن والعروق وازداد ظاهر البدن يبسا ، ولا في ازدياد ألبان الحيوانات بتزايد القمر اول الشهر الى نصفه وتناقصها مع نقصانه ، ولا في ادمغة الحيوان وامقال البيض التي تزيد اول الشهر وتنقص آخره ، ولا في ان الانسان اذا نام او قعد في ضوء القمر حدث في بدنه الاسترخاء والكسل وهـاج عليه الزكام والصداع ، ولا في بلاء الكتان وفساد اللحم وتغير طعمه بانكشافه لضوء القمر ، ولا في كثرة الأسماك في البحر وسمنها اول الشهر وقلتها وضعفها آخره ، ولا في قبول الرياض والأشجار للنمو والنشو اذا غرست اول الشهر وعدم قبولها لذلك اذا غرست آخره .

انما البحث فى أن النجوم تؤثر في جملة الحوادث السفلية من السعادة والشقاوة والذكاء والبلادة والحسن والقبح والخديعة والمكر والنذالة والشهامة والشجاعة والجبن والأشكال والمقادير ونحوها ، وان ذلك كله باتصالات الكواكب وانفصالاتها ومسامتتها ومباينتها ، فان هذا مما لا برهان عليه لا بخبر من لا يجوز الكذب عليه ولا بضرورة العقل ولا بنظره ، وغايته حدس وتخمين وظنون كاذبة وتزوق وتفرس وحيلة وخديعة ، حتى ان من لا يتقيد بالشريعة كابن سينا والفارابي بالغا فى الرد على الأحكاميين

والنجوميين واطال في ذلك ابن سينـــا فى آخر الشـفاء ، وحتى ان ابا معشر وهو من أئمتهم اعترف بأنه تخمين ، فانه قال معتذراً : كل الأعراض الغائبة توهم لا يكون شيء منها يقيناً وانما يكون توهم اقوى من توهم .

وانظر ما كان اقوى تعلق بنى برمك بالنجوم حتى فى ساعات اكلهم وركوبهم وعامة افعالهم وكيف كانت نكبتهم الشنيعة ، وانظر حال علي ابن مقلة الوزير وتعظيمه لعلم احكام النجوم ودخوله داره على طالع سعيد فنكب فيها اشد نكبة وقطعت يده ولسانه .

والدليل على بطلان ذلك انا نشاهد عالماً كثيراً يقتلون في ساعـــة واحدة في حرب وخلقاً يغرقون في ساعة واحدة مع القطع باختلاف طوالعهم واقتضائها عندهم احوالا مختلفة ، ولو كان للطوالع تأثير في هذا لامتنع عند اختلافها الاشتراك في ذلك .

ولا ينفعهم الجواب بأن طالع الوقت قد يكون أقوى من طالـــع الأصل ، فيكون الحكم له . لانا نقول : هذا بعينه يبطل الجزم بطالع المولود ويحيل القول بتأثيره ، فلعل طوالع الأحوال المتجددة أقوى من طالع الاصل فيرتفع الوثوق بطالع الاصل ، اذ لا أمان لاقتضاء الطوالع بعد ضدّ ما اقتضاه ، وحينئذ فلا يفيد اعتباره شيئاً .

وايضاً فانه لو كان طبيعياً وذاتياً لما اختلف ، والتالي باطل فالمقدم مثله . أما الملازمة فظاهرة ، وأما بطلان التالي فان المنجمين قلما يجمعون على شيء ويكون كذلك . فمن ذلك اتفاق حذاقهم سنة سبع وثلاثين عام صفين فى مخرج على رضى الله عنه من الكوفة الى محاربة اهل الشام على انه يقتل ويقهر جيشه ، فظهر كذبهم وانتصر جيشه على اهل الشام ولم يقدروا على التخلص منهم إلا بالحيلة التي وضعوها من نشر المصاحف على الرماح والدعاء الى ما فيها .

ومن ذلك اتفاقهم عند ماتم بناء بغداد سنة ست واربعين ومائة على ان طالعها يقتضى أنه لا يموت فيها خليفة ، وشاع ذلك حتى هنأ الشعراء به المنصور حيث قال بعض شعرائه :

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ان الممات بها عليك حرام
لما قضت احكام طالع وقتها ان لا يرى فيها يموت امام

وأكد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة ثم المهدي بما سبذان ثم الهادي بعنيساباد ثم الرشيد بطوس ، فلما قتل بها الأمين بشارع باب الأنبار انخرم هذا الاصل حتى رجع القائل الاول فقال :

كذب المنجم فى مقالته التي نطقت على بغداد بالهذيان
قتل الأمين بها لعمري يقتضى تكذيبهم في سائر الحسبان

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكتفى والناصر وغير هؤلاء .

ومن ذلك اتفاقهم فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين في قصة عمورية على ان المعتصم إن خرج لفتحها كانت عليه الدائرة وان النصر لعدوه ، فخرج ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة ، وفى ذلك الفتح قام ابو تمام الطائي منشداً :

السيف أصدق انباءاً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لافي السبعة الشهب
اين الرواية ام اين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثاً ملفقة ليست بنبع (١) اذا عدت ولاغرب

وهي نحو من سبعين بيتا اجيز على كل بيت منها بألف درهم .

(١) النبع شجر تعمل منه القسي والسهام ، والغرب بالتحريك شجر أيضاً

ومن ذلك اتفاقهم وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصمي على ان المكتفى بالله ان خرج لقتال القرامطة لم يرجع وزوال دولتـــه وان طالع مولــده يقتضى ذلك ، وأخافوا وزيره القاسم بن عبيد الله من الخروج معه فخرج اليهم المكتفى وأخذهم جميعاً ، ولما عاد وزيره القاسم أمر باحضار رئيس المنجمين وصفعه صفعاً عظيما .

ومن ذلك اتفاقهم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة عندما أراد القائد جوهر بناء مدينة القاهرة المعزية وقد كان سبق مولاه الملقب بالمعز الى الدخول الى الديار المصرية لما امره ببنائها وان يكون نجوم طالعها في غاية الاستقامة ويكون بطالع الكوكب القاهر وهو زحل او المريخ ولذلك سميت القاهرة فجمع القائد جوهر المنجمين فحققوا الرصـــد وأمر البنائين ان لا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه وان يكونوا على نهاية من التيقظ والإسراع فوضعت على ذلك الاتقان واتفقوا على ان الدولة الفاطمية لا تخرج الدولة عنهم ، فلما استولى عليها صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان المصريون قائمين بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف توهم الجهال ان ما قاله المنجمون حق ، فلما رد صـــلاح الدين الدعوة الى بني العباس ظهر كذبهم وكانت المدة بين وضع الأساس وانقراض الدولة نحواً من مائة وثلاثة وتسعين عاماً والاعتذار عنهم بسبق البنائين الأرصاد بعيد لان تبديل البناء وتغييره مـــع الاحتياط للدولة مع سهولة التغيير مما لا يتسامح به .

ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم على انها السنة التي تنقضى فيها بمصر دولة العبيديين ، وذلك عند خروج الوليد ابن هشام المعروف بأبي ركوة الأموى ، وحكم الطالع له بأنه هو القاطع لدولة العبيديين وانه لابد أن يستولى على الديار المصرية ويأخذ الحاكم بذلك واكبرهم المعروف بالفكرى منجم الحاكم ، فكان ابو ركوة قد ملك برقة

واعمالها وكان من تدبير الحاكم ان دعا خواصهم وأمرهم ان يكاتبوا أبا ركوة ويطمعوه باختياره على الحاكم ففعلوا ، فزحف ابو ركوة بعساكره حتى نزل بوسيم على ثلاثة فراسخ من مصر فخرجت اليه العساكر الحاكمية فهزمته ، فتحقق انها خديعة فهرب وقتل خلق كثير من عسكره وطلب فأخذ اسيراً ودخل به الى القاهرة على جمل مشهوراً ، ثم امر الحاكم بقتله سنة ٣٩٧ وأمر الحاكم بالفكرى فقتل .

والسبب في استمالة الفكرى للحاكم أن الفكرى أصاب معه فى قضيتين « احداهما » ان الحاكم عزم على ارسال اسطول الى مدينة صور لمحاربتهم فسأله الفكري ان يكون تدبيره إليه ليخرجه في طالع يختاره وتكون العهدة ان لم يظفر عليه ، واتفق ظهور الاسطول . « الثانية » انه ذكر له أن بساحل بركة موريس مسجداً وأن تحته كنزاً ، وسأله ان يتولى هو هدمه فان ظهر الكنز وإلا بناه هو من ماله ، فاتفق اصابة الكنز .

ولما حكم عليه الفكرى بتغير دولته وقضى المنجمون بمثل قضائه وقع فى نفس الحاكم أن يغير دولته تغييراً معنوياً ، فعمد الى كل متولٍّ في دولته ولاية فعزله منها ، وقتل وزيره الحسن بن عماد وصار يأمر في يومه بخلاف ما يأمر به فى أمســه ، فأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم على رؤوس المنابر والمساجد ، ثم امر بقطع سبهم وعقوبــة من سبهم ، وأمر بقطع شجرة الزرجون (١) من الأرض واوجب القتل على من شرب الخمر ثم أمر بغرس هذه الشجرة واباح شرب الخمر ، واهمل الناس حتى نهب الجانب الغربي من القاهرة ، وقتلت فيه جماعة ثم ضبط الأمر حتى امر أن لا تغلق الحوانيت ليلاً ولا نهاراً ، وامر منادياً ينادي : من عدم له ما يساوي درهماً اخذه من بيت المــال درهمين بعد ان يحلف على عدمه او

(١) الزرجون محركة : الخمر والكرم او قضبانها ، وصبغ احمر .

يعضده بشهادة رجلين ، حتى تحيل الناس في ستر حوانيتهم بالجريد لئلا تدخل الكلاب .

ثم لما قتل الفكري لم يزل اثر التنجيم في نفسه لتشوف النفس الى التطلع الى الحوادث قبل وقوعها ، فجمع المنجمين جمعاً ثانياً بعد أن جمعهم اولا وعملوا له الرصد الحاكمي الذي خالف فيه الرصد المأموني ، فألزموه فيما ألزموه بركوب الحمار وأن يتعاهد الجبل المقطم في اكثر الأيام وينفرد وحده يخاطب زحل ، وحكموا بأنه ما دام كذلك كان سالم النفس فلزم ما اشاروا عليه به ، فخرج بحماره الى ذلك الجبل على عادته وانفرد بنفسه لكوكبه ، وقد استعد قوم بسكاكين فقطعوه هناك وأعدموا جثته فلم يعلم له خبر . فمن هنا تقول اتباعه الملاحدة انه غائب منتظر .

ومن ذلك اتفاقهم سنة ٤٨٢ على خروج ريح سوداء تكون في سائر الأقطار تهلك الناس إلا من اتخذ لنفسه مغارة في الجبال، بسبب ان الكواكب كانت اجتمعت في برج الميزان وهو برج هوائي ، كما اجتمعت في برج الحوت زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو برج مائي فحصل الطوفان فاتخذ الرعاع المغاير استدفاعاً لما انذرهم به ، فلما جاء الوقت الموعود قلّ هبوب الرياح حتى أهم الناس ذلك لما هم عليه من الكرب وظهر كذبهم

ومن ذلك اتفاقهم في الدولة الصلاحية على أن الإسكندرية لا يموت فيها وال ، فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب سنة ٤٧٤ ثم واليها فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة ٤٨٩ ثم واليها سعد الدين ابن سودكين بن عبدالله سنة ٦٠٤ انخرمت هذه القاعده .

ومما اتفق عليه المنجمون أن الإنسان اذا أراد ان الله تعالى يستجيب دعاءه جعل الرأس في وسط السماء مع المشتري ، او بنظر منه مقبول والقمر متصل به ، او منصرف عنه متصل بصاحب الطالع ، او صاحب الطالع

متصل بالمشترى ناظر الى الرأس نظر مودة ، فهناك لا يشكون أن الاجابة حاصلة . قالوا : وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه ، والعاقل يعلم ان الله تعالى لا يتأثر بحركات النجوم ولا توجب النجوم عليه شيئاً

وأما الكيمياء فلا بحث في إمكانها على يد ولي من قبيل الكرامات وخرق العادات ، ولا في الوصول الى تصحيح صبغها ظاهراً على وجه التلبيس والغش كما يفعله الفساق ، إنما البحث في تصيير النحاس ذهباً حقيقة على طريقة صناعية مطردة ، فهذا مما لا اعتقد صحته .

وقد صنف الشيخ تقي الدين بن تيمية رسالة في إنكارها ، وكذلك ابن قيم الجوزية كما حكاه هو عن نفسه في كتابه المسمى (مفتاح دار السعادة) .

واضطرب كلام الفارابي في إمكانها فأثبتها مرة ونفاها اخرى والشيخ ابو علي بن سينا سلم امكان أن يصبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب ، وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص . قال : وأما أن يكون الفصل المنوع يسلب او يكسى فلم يظهر لي امكانه ، إذ هذه الأمور المحسوسة يتشبه ان لا تكون الفصول التي بها تصير هذه الاجسام انواعاً ، بل هي أعراض ولوازمها وفصولها مجهولة ، واذا كان الشيء مجهولاً كيف يمكن قصد ايجاده او افنائه .

وللفلاسفة في امتناعها مطلقاً حجج كثيرة : فمن اقواها ان الطبيعة انما تعمل هذه الأجسام من عناصر مجهولة عندنا ، ولتلك العناصر مقادير معينة مجهولة عندنا ، ولكيفيات تلك العناصر مراتب معاومة - أي في نفسها - وهي مجهولة عندنا ، ولتمام الفعل والإنفعال زمان معين هو مجهول عندنا ، ومع الجهل بكل ذلك كيف يمكننا عمل هذه الأجسام .

(ومنها) لو كان الذهب الصناعي مثلا للذهب الطبيعي لكان ما

بالصناعة مثلا لما بالطبيعة لكن التالي باطل ، أما اولاً فلانا لم نجد شبها ، واما ثانياً فلأنه لو جاز أن يوجد بالصناعة لما حصل بالطبيعة ولما ثبت امتناع التالي ثبت امتناع المقدم .

(ومنها) أن لهذه الأجساد أماكن طبيعية وهي معادنها هي لها بمنزلة الأرحام للحيوان ، فمن جوّز تولدها من غير تلك المعادن كان كمن جوز تولد الحيوان من غير الأرحام .

(ومنها) ان هذه الأجساد متباينة بفصولها النوعية ، وتلك الفصول مجهولة لنا ، فلا يمكننا إيجادها ولا اعدامها ، وبتقدير أن تكون الفصول معلومة لنا لا يمكننا ازالتها وتحصيلها ، لأنه لو جاز ان يجعل نوع نوعاً لجاز أن يجعل الفرس حماراً وبالعكس .

(ومنها) ان الجوهر الصابغ إما ان يكون أصبر على النار من المصبوغ او يكون المصبوغ اصبر او متساويين ، فان كان الصابغ اصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ ، وان كان المصبوغ اصبر وجب ان يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على حاله الاول عريا عن الصبغ ، وان استويا فكلما استويا في المصابرة على النار كانا من نوع واحد ، فليس احدهما بالصابغية وآخر بالمصبوغية اولى من العكس .

(ومنها) تكوين الذهب الطبيعي انما يحصل في سنين كثيرة بانضاج وطبخ من حرارة الأرض على وجه مخصوص بمواد مخصوصة ، ومراعاة الانسان النار في عمل الذهب على هذا النظام مما لا يفي به علم البشر ، ثم اذا كان تكوينه بالقدرة القديمة على الوجه الطبيعي انما يحصل في سنين فكيف يتكون بالقدرة الحادة فى مدة يسيرة .

قال الطبيعيون : ان الزئبق اذا كمل نضجه في الأرض جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه وأخفاه في جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات ، فاذا

اختلطا واتحدا وذابت الحرارة انعقدا عنـــد ذلك ضروباً من المعادن التي يسمونهاالفلزات ، وهي السبعة الآحادالذائبة الصابرة علىالنارالمنطرقة،فانكان الزئبق صافياً والكبريت نقياً واختلطت اجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لهـــا عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الإبريز ، وهذا لا يتكون إلا من الأحجار الرخوة والبراري الرملة ، وبذلك يتضح عندك ان قوة الإنسان قاصرة عن إيجاد مثل ذلك مادة وكيفية .

ويزيد ذلك وضوحا ان المذكور في كتب الكيمياء انما هو رموز ، فلو كان لها حقيقة لصرحوا بها ، فقد صرح العلماء بما هو أنفس من ذلك وأجلّ قدراً مما كان له حقيقة ، ولا أقول كحل المشكلات . والجمع بين الاحاديث الصحيحة والنكات القرآنية الشريفة لئلا يكون تخليطاً فى البحث ، فان البحث انما هو في الأمور الدنيوية ، بل ككتب ابن وحشية وغيره فى الطلسمات الصحيحة والفلاحة النافعة وأنواع من السحر هي في بابها كفلق الصبح وفى نفاستها كالكيمياء او فوقها ، فـــلا يصح التعليل بأنهم انما كتموها تمويها وزرفا (١) وعجزاً عن تصوير مالا حقيقة له او توهماً كاذباً وتخميناً طمعياً ، والله أعلم .

واما المطالب فلا بحث فى امكان ان يجد الشخص دفيناً جاهلياً او اسلامياً على الاتفاق والصدف ، انما البحث في أن تحت الأرض مساكن وعمارات مبنية وفيها كنوز واموال عظيمة وعليها موانع وطلسمات، ولتلك الموانع طرق تزول بها ، وعلى تلك المطالب علامات وأمارات يتوصل بها الى امكنتها ويستدل عليها بها ، فهذا من مخارق المحتالين وأمانى المفلوكين

---

(١) زرف في الكلام : زاد فيه ، والزرافة مثل كاسة الكذاب ـ ا هـ.ومنه يعلم مراد المؤلف .

ولا دليل لهم فيما يروّجون كذبهم به من أن في القرون السالفة من كان يعتقد العود الى الدنيا فيدخر ماله لذلك لما سنبينه .

والدليل على ان المطالب لا حقيقة لها وانما هى من المطامع الفارغة والمخارق والخديعة أن ادخار الاموال العظيمـــة على هذا الوجه المخصوص إما ان يكون لغرض أولا لغرض ، والغرض إما دنيوى او اخروى ، والأقسام الثلاثة باطلة وما ادى الى الباطل فهو باطل ، فالقول بوجود المطالب باطل .

بيانه : انه لا جائز ان يكون ادخار المال في الأرض لا لغرض بأن يوضع تحت الارض عبثاً لتأكله الارض ويذهب سدى ، فإن ذلك خلاف صريح العقل لأن الذهب والفضة هما قيم الأشياء وجوهر الثمنيـــة واسباب المطالب ، ولا جائز أن يكون لغرض أخروى ، لأن شريعة الاسلام ليس فيها ما يدل على مطلوبية الإدخار والكنز ونيل الدرجات في الآخرة بسببه بل هي ناهية عنه وآمرة بصرفه فى وجوه القربات والخيرات . واصحاب الملل غيرها منهم من ينكر المعاد الجسماني على القطع ، ومنهم من تردد فيه ، وهؤلاء لا يجوز ان يدخروا المال لأمر اخروى ، لما ان اخرويا من غير اعتقاد الآخرة محال ، وذلك كعبدة النجوم والصابئة والنصارى على ما قاله الإصفهاني فى شرح الطوالع في الكلام على المعاد الجسماني ، وان كان فيه نظر . وأما من يقول بالادوار والتناسخ كعبدة الأوثان فالكلام في عدم ادخارهم كالكلام على القسم الثالث . واما القسم الثالث ـ وهو ان يكون الادخار لامر دنيوي يعود على المدخر لاعتقاد عوده الى الدنيا ـ فهو ايضاً باطل ، لانه لو كان كذلك لبالغوا فى اخفائه وسد طريق العلم به ، لكننا قد فرضنا له علامات وأمارات يعرف بها ، هذا خلف .

واما عدم افضاء حرفة الشهادة الى المقصود فذلك لأن الحرف

والصنائع على قسمين : قسم يلزم من العلم به واجادته الحصول على ثمرته وقسم لا يلزم بل لابد من ضميمة أخرى ومنه حرفة الشهادة وسائرالحرف الهوائية الغير المعيشية ، وينبغي ان يسمى معاشاً غير طبيعي ، وهذه لاوثوق بإفضائها الى المقصود .

وبيانه فيما نحن بصدده وهو الشهادة ان حقيقة حرفة الشهادة ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقاصد المشهود له وعليه بلفظ صحيح متعارف مستوف لمقاصدهما بشروط شرعية وعلى افراغ مقاصدهما في قالب شرعي ان كانت غير شرعية ، وغايته تحويل عبارة المشهود له وعليه العامية الى عبارة يرتضيها العلماء وتحويل تصويرهما الفاسد الى صورة شرعية .

ثم لا يلزم من تحصيل هذه الملكة واجادتها الحصول على ثمرتها والرواج فيها ، بخلاف القسم الاول من الحدادة ونحوها ، فان من علمها وأجادها حصل على ثمرتها .

وحكم سائر الحرف الهوائية كالدلالة والنقابة في عدم افضائها بالعارف بها الى مقصودها حكم الشهادة ، ولك أن تجعل ذلك حداً رسمياً للحرف الهوائية ، فيقال في حدها : حرفة لا يلزم من العلم بها واجادتها الحصول على ثمرتها .

والحاصل ان لحرفة الشهادة موانـــع من حصول ثمرتها والمقصود منها ، ولها مفاسد ونقائص عاجلة ومضار أخروية آجلة .

فأما الموانع فأمور :

(منها) ان حرفة الشهادة من قبيل الإحتراف بالعلم ، والعلم كما سيجيء تحقيقه في الفصل الخامس أقبل شيء للخفاء والجحد والجهل بقدره من صاحبه ، وأقبل شيء للاضافة الى غير أهله بالحظ والجاه والتلبيس وسكوت معور عن معور ، واذا كان كذلك فقد يدور الرواج في الشهادة

مع الهيئة والزي الظاهر واللباس الفاخر ، ويخفى مكان الإتصاف بحرفة الشهادة على التفسير السابق ، فيفوت الرواج بفوات الهيئة واللباس ، وهناك ينشد :

أرى ثياباً ولكن حشوها بقر بلا قرون وذا عيب على البقر

(ومنها) أن مبنى حرفة الشهادة على العوام ، وهم مربوطون بأوهامهم وواقفون مع مألوف عاداتهم ولا تمييز لهم بتفهم كتابة وكتابة والتقليد وظيفتهم وذاتي لهم ، فلا يستعملون في وثائقهم ومكاتيبهم مجهولا لهم لتوهمهم فيه إفساد مكاتيبهم ، ويلزم من عدم استعمال المجهول استمراره على خموله ومجهوليته أبد الآبدين ودهر الداهرين .

(ومنها) ان مبنى للرواج على الشهرة ، والشهرة إما بقدمية او بتشهير مقبول القول ، فأما القدمية فليس المراد بها طول الإقامة في مكان بل كثرة الكتابة التي للشاهد في ايدى الناس المحركة لدواعيهم في استعماله التي يستلزم بعضها بعضاً ، والدخيل خال عن ذلك . وقدمنا ان الشخص المجهول لا يستعمل ، والمكث المجرد عن الكتابة لا يفيد شيئاً ، حتى لو أقام الدخيل أبد الآبدين في مكان لا يستكتب فيه لم يكن بينه في الجهالة والخفاء والإهمال والجحد فرق البتة . وأما تشهير مقبول القول فأعزمن بيض الأنوق ومن تصحيح (١) الإكسير ، وما احق هذا بقول القاضي الجرجاني:

اذا لم يكن في الأرض حر يعينني ولم يك لى كسب فمن أين أرزق

(ومنها) ان الحرفة هوائية صرفة ، وصرفها عن الدخيل والأجنبي الذي لا زبون له بالمواطأة والحيلة والإعتذار والشعوذة والدك من إدخال الأشياء تحت الإمكان لاسيما واهلها بطرق اللؤم اهدى من القطا ، مع مالهم

---

(١) الإكسير : الكيمياء . وقد أقام المؤلف البرهان على عدم صحتها فتنبه

من القسوة والقحة وغلظ الأكباد احسن الله خلاصنا من أيديهم .

وأما المفاسد والنقائص العاجلة فلأن الشهادة في هذا الزمان تستلزم النذالة والسفالة والدناءة وسقوط الهمة وموت النفس والشح والقحة وتؤدى الى التباغض والتماقت والتقاطع والتدابر والتحاسد ، يتقاسمون الفلس والفلسين ويتغاضبون على الحبــة والحبتين ويتراضون بالدرهم والدرهمين ويسرقون ويختلسون . قال عمر بن الوردي من ارجوزة طويلة في ذلك :

يغيب الأشغال من ابيه ويسرق الأجرة من اخيه

ويحلفون بالطلاق والعتاق على ما كذبهم فيه أظهر من الشمس فضلا عما يحتمل الكذب ، ويعدون ذلك استرضاءاً وعقلا ، ويتهافتون بسرعــة القيام للاشغال ويعدونه حذقاً وكيساً ، ويوسعون الدخيل حرماناً وشعبذة ويعدونه دهاءاً وكيساً ، وقد قلت في تهافتهم ومبادرتهم القيام :

بليت به جهولاً جاهلياً ثقيل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك اكثر الإخوان علماً ولكن كان أسرعهم نهوضاً

وأما المضار الاخروية فمن وجوه :

« اولها » - حضور الأنكحة مع عدم الإستظهار فى شروطها من انقضاء العدة والأولياء والكفاءة وغيرها . وعلى الجملة فالاقدام على عقد من غير معرفة حكمه حرام ، ثم بتقدير وجود الشرائط فمعهم من انفسهم المفسد الأعظم وهو فوات العدالة ، لما ان كل واحد يعرف من نفسه مالا يعرف من غيره ، والعدالة عنــد الشافعية عبارة عن عدم مباشرة الكبائر والإصرار على الصغائر مع المروءة ، واين من يجمع هذه الثلاثة مع خطر النكاح وكثرة ما يترتب عليه من الأحكام من التوالد والتوارث وانتشار النسب الى عدد كثير ، وما يترتب على ذلك المنتشر من الأحكام ووجوب مالا يجب الا بالنكاح وحل مالا يحل الا به ،الى غير ذلك ممالا يحصى كثرة

« وثانيها » - ان شركة الأبدان القائل فيها قائلان : قائل بعدم جوازها البتة كالشافعي ، وقائل بجوازها كالحنبلي والحنفي ، وليس لنا قائل بوجوبها . وان اثنين ينعقد بينهما شركة الابدان بغير اختيارهما ، ومبنى شركة الشهود غالباً على الإكراه ، فقلما يقع بين الشهود شركة ابدان صحيحة بالتراضي ، بل كل منهم لا يريد الآخر ولا الكتابة معه ، ويمنعه من ذلك موانع هي إكراه او في معنى الإكراه ، ويكتب احدهما مائة سطر والآخر يكتب اسمه ويتقاسمان على السواء ولا شركة بينهما قائمة ، فيصير الكسب كله حراماً ، مع ان أكل الحرام مما يظلم القلوب ويمنعها من دخول الحكمة فيها .

« وثالثها » - انه يجب على كل أحد علم ظاهر صناعته كما ذكره الشافعية في كتب الفقه أول كتاب الجهاد ، فيجب على الصيرفى مثلا معرفة ان بيع درهم بدرهمين مثلاً حرام وغير ظاهر صنعته كباقي مسائل الربا التي لا يكثر دورها لا يجب عليه تعلمه ، واذا وقع له شيء منه سأل عنه العلماء : وقياسه ان كل شاهد يجب عليه ان يعلم شروط الرهن والبيع والكفالة والأقارير ، لأن هذه الأشياء كثيرة الدور ، وباقي مسائل هذه الأبواب يسأل عنها المفتى اذا وقع له ، فحينئذ من ترك من الشهود معرفة هذه الأشياء كان عاصياً ، ويتكرر عصيانه كل يوم ويترتب على ذلك مالا يخفى

وايضاً كثيراً ما يكتب الشهود في الشهادة على من لا يعرفونه وقد عرفه شهوده وهو كذب ، لأن المعرفة لاتحصل بالنظرة ولا بالمرة : ويتكرر هذا الكذب بتكرر الشهادة على المجاهيل ، ويترتب على ذلك مالا يخفى .

« ورابعها » - تضييع الحقوق بالجهل ، فرب من يكتب شيئاًويزيد فيه كلمة أو ينقص كلمة أو يصور صورة يترتب عليها مفاسد شرعيةوهو بجهله لا يعلمها ، ولا يصح الإعتذار عن ذلك بأنالكلمة الزائدة أو الناقصة

هكذا تحملها ، لأن ذلك بتسببه وتوريطه المشهود له ، وعليــه في ذلك بتقليدهما اياه ظنا منهما انه أهل للتقليد .

« وخامسها » ـ التدليس باسترعاء المشهود عليه بكلمات الفقهاء التي تقصر عن ادراك غوائلها ودسائسها افهام العوام من غير ان يعرف العوام ما وراء ذلك من الغور ، مع القطع بأنه لو شرح له ما في ذلك من الفساد لما أقدم عليه . ولا يصح أيضاً الإعتذار عن ذلك بأنه هكذا تحمل وهكذا استرعاه ، لأن هذا مما لا ينفع عند العليم الخبير .

« وسادسها » ـ انهم يكتبون فى كتب الأوقاف كلاماً طويلاً تلقوه عمن تقدمهم من غير أن يعرفوا معناه فضلاً عن الواقف المشهود عليه ، بدليل ان العلماء فضلا عن المورقين تدور رؤوسهم في ثاني الحال في فهم المراد منه ، والواقف لم يتلفظ به ولا بمعظمه ، ولو قرىء عليه لم يفــد لاستحالة ارادة معنى شيء بدون فهمه .

على ان الإنشاآت لابد فيها من اللفظ من فهم المعنى ، بدليل ان الأعجمى لو لقن الطلاق بلا فهم فأوقعه واراد معناه عند العارف بمعناه لم يقع . وعلى الجملة فشهادتهم على الواقف بما نسب اليه فيه وهو لم يفهمه مشكلة جداً ، بل وينشأ من عباراتهم الفاسدة الناشئة عن الجهل حرمان من لعل الواقف لم يرد حرمانه لو روجع فيه ودخول من لم يرد دخوله . وعلى الجملة فى هذا الموضع نظر ظاهر فليتأمل .

« وسابعها » ـ تصريح العلماء من الشافعية والحنفية بأنه لا يشهد على خطه ما لم يتذكر الواقعة ، فأما القضايا التي يكون فيها مدخل أو يكون هو المورّق وله فى عبارته وكتابته مــا يذكره بالقضية فلا كلام فيها ، ولكن ثم من القضايا ما يستحيل التذكر فيه عادة ، كالشهادة على الحكام في ظهور السجلات مع طول المدة وما في معنى ذلك ، فليستفت الشاهد

قلبه فى ذلك فإنه من مزال الأقدام .

« وثامنها » - الإكتفاء في الشهادة على الحكام فى السجلات الطويلة والمحاضر وصور المجالس الطوال بقول الحاكم له « نعم » جواباً لقول الشاهد له « اشهد عليكم بما فيه » من غير أن يقرأه عليه بل ولا يعرف الشاهد ما فيه لا اجمالاً ولا تفصيلا ، وقد قال فقهاء الشافعية في كتاب القاضي للقاضي انه لو لم يقرأ على الشاهدين وقال الحاكم لهما أشهدكما علي انه كتابي أو أن ما فيه خطي لم يكتف بذلك .

« وتاسعها » - رفع الشهود نسب من لا يعرفون نسبه مع ان ذلك شهادة بنسبه ضمنا ، كما قاله السبكي في جمع الجوامع في الكلام على أن مورد الصدق والكذب إنما هو النسبة التي تضمنها الخبر لا واحد من طرفيها ، ولو سلم ان ذلك ليس شهادة بالنسب لا اصلا ولا ضمناً فقد قال الامام كما نقله عنه في الروضة والرافعي انه لو لم يعرف المشهود عليه الا باسمه لم يتعرض في الشهادة لاسم ابيه .

هذا ما رأيت ان اذكره مما قوى عندى مما حضرني في هذا المقام من موانع حصول المقصود من حرفة الشهادة ومفاسدها ، ووراء ذلك غور لا يمكن التصريح به ، ورأيت ان الإمساك عنـــه اولى ، وما أحق ذلك بقول القائل :

في النفس اشياء لا أسطيع اذكرها   لو قلتها قامت الدنيا على ساق

والله المسئول في الخلاص منها واليه اضرع وعليه اتوكل .

الفصل الخامس

(في ان الفلاكة والإهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك)

وانما كانت الفلاكة ألصق بهم غالباً من غيرهم لامور :

(منها) ان الإمارة عنهم بمعزل ، والتجارة مبنيـة على السفسفة والمماحلة (١) والآمال التي لا يقوم دليل على وقوعها ، والفلاحة والصناعة يلزمهما المهانة والتلوث برذائل الحيل الدنيوية واهل العلم لهم أنفة واستنكاف عن ذلك ، فيقعدون عن الإكتساب متعللين بالأماني الكاذبـة ، فيقعون في الفاقة والإملاق .

(ومنها) انهم يحسنون ظنونهم في الناس على مقتضى ما يتوهمونه في أنفسهم من استحقاقها لذلك ، ويبنون على ذلك رفيعاً ويحاولون منيعاً ، والناس لا سيما أهل عصرنا لا يقيمون لعلومهم ومعارفهم وزنـاً فيبنون ظنونهم على شفا جرف هار ، وتأتي الحوادث بنيانهم من القواعد فتجتثه ويعودون بآمال خاسرة وظنون كاذبة .

(ومنها) انهم لاعتيادهم القواعد الكلية والخوض فى الأنظار الدقيقة يطردون معظم الأشياء كلياً حرماناً وحصولا ، ويقيسون الأشياء على اشباهها على طريق قياسهم الفقهي ، ويلحقون بعض الوقائع ببعض على سبيل إلحاق النظير بالنظير والقياس التمثيلي . والقضايا وان تناسبت أو تساوت من وجه فقد تختلف من وجه آخر او من وجوه أخر تخفى على غير المهرة في احكام الدنيا ودقائقها ، او لخصوص في المادة او لوجود مانع او فوات شرط او لكون تلك القاعدة المأخوذ منها حكم ذلك الفرع ليست كلية فى نفسها بل اكثرية وذلك الفرع من غير قسيم الاكثر ، وهم عن ذلك كله غافلون

والقواعد العلمية التي يعرفونها تقضى عليهم بتصحيح الأقيسة والوثوق بها ، فيطردون معظم الأشياء كلياً حرماناً وحصولاً تأليفاً وتنفيراً تقريباً

---

(١) ماحله مماحلة ومحالا : قاواه حتى يتبين أيهما أشـد . . والغرض ان التجارة مبنية على المماكسة .

وتبعيداً اهمالا ومراعاة ، فيخبطون لذلك خبطا عظيما ويخطئون السياسة اصلا ورأسا . والكيس من العامة والهمج لا يعرف الكليات ولا الأقيسة والعمل بها ولا إلحاق الأشياء بنظائرهـا ولا قياس العكس والخلف والملازمات ، فينظر في الجزئي الذي هو بصدده نظراً خاصاً غير مشوش بما يفسده ويتفقه فيه مانعاً وعائقاً ، ويجسره على ذلك صحة الجزم وعدم التردد وما ينشأ من كثرة الاحتمالات من الفتور والتواني وضعف العزيمـة ، فتنجح مساعيهم ويصيبون في ظنونهم غالباً .

(ومنها) انهم لبعـد غورهم وغوصهم يفرضون محتملات بعيدة ويجزمون بوقوعها وثوقاً منهم بظنونهم وافتتاناً بأنفسهم ، وما من شيء الا ويطرقه الاحتمال المثبط عن امضائه واستقامته ، فيتخلفون لذلك عن مظان الخير والتعرض لتنفيسات الدهر وغشيان أهل الجاه ، فيقعون في الفلاكة والإهمال

(ومنها) وهو مختص بأصحاب علوم الأوائل من الحكمة والفلسفة والطبيعة والمنطق والجدل والطب وكلام الأقدمين والتصوف الممزوج بالفلسفة والمتبحرين في التشكيكات والشبه ، وعلى الجملة فمن تضلع في هذه العلوم وحدها ولم يكن له خدمة لما في الكتاب والسنة من الأحكام والمعارف ولا تضلع في الفقه ولا نظر نظراً تاماً في كلام العلماء الكبار المتشرعين فانـه يخرج بهاء الشريعة وجلالها ومهابتها وتعظيم ما فيها من قلبه ، فيسترسل في اللذات محرمة كانت او جائزة رذيلة خسيسة كانت او غير منفرة ، ويستثقل الاتيان بالمأمورات فيتركها طلباً للراحة والدعة ، وأرزاق العلماء مبنية على التماس بركتهم والإستنجاح بأدعيتهم وترفيعهم عن رذيلة الإحتراف والإكتساب الجائزين ، فمتى لم يرفعوا أنفسهم عن الرذائل المحرمة ولم يكن لدعائهم عمل صالح يرفعه ولا على شمائلهم شواهد البركة انكف الناس عن اسعافهم بمرادهم وأخذوا في طعنهم وتنقيصهم وربما رموهم بالزندقة والإلحاد ، فتستحكم الفلاكة فيهم والفلاكة كالبرص في

الجسد تنتشر فيه وتسرى وتتزايد ما لم تجد دواءاً حاسماً مانعاً له من السريان

(ومنها) وهو مختص بأصحاب علوم الأوائل ايضاً انهم يرون ان لا كمال الا التحلي بالمعارف والإطلاع على النكات والحقـائق والوقوف على الأسرار والدقائق ، وان الكمالات الخارجية من المال والجاه خيالات باطلة لا كمال فيها ، ويمكن أخذ ذلك والإستدلال عليه بقول عز الدين الحسن ابن محمد الاربلى الضرير الفيلسوف :

كمل حقيقتك التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الأسفل

أتكمل الفاني وتترك باقياً هملا وأنت بأمره لم تحفـل

الجسم للنفس النفيسة آلة ما لم تحصله بها لم يحصل

يفنى وتبقى بعده في غبطة محمودة او شقوة لا تنجلى

أعطيت جسمك خادماً فخدمته ونسيت عهدك في الزمـان الأول

ملكت رقك مع كمالك ناقصاً أتملك المفضول رق الأفضل

وبقول أبي الفتح البستي والغزالي رحمه الله كثير اللهج به فى كتبه :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالنفس فاستكمل سعادتها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وبقول الفارابي محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفي سنة ٣٣٦ :

أخى خل حيز ذي باطل وكن للحقائق في حـيز

فما الدار دار مقام لنا وما المرء في الارض بالمعجز

ينافس هذا لهـذا على أقل من الكلم الموجز

وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقـع مستوفز

محيط السموات اولى بنـا فماذا التنافس في المركز

واذا كان الكمال الخارجي متلاشياً في أنظارهم على ما تقرر فيهم لا محالة لا يعطون له بالا ، وهو لعسره لا يتم مـع الفكرة في تثميره فكيف

مع اهماله وعدم الاعتناء به وإلقائه وراء الظهر .

(ومنها) ان العلوم خرجت عن كونها حرفاً وصناعة من الصناعات بعد مصيرها من قبل ، على ما سيجيء تحقيقه والاستدلال عليه فى الفصل السادس بعد هذا الفصل ، واذا كان كذلك فكيف العمل على شريعـــة منسوخة والوصول بسلوك سبيل قد سدّ والاستضاءة بمصباح قد طفىء .

(ومنها) ان رواج العلماء انمـــا هو لعلمهم كما ان رواج أرباب الحرف انما هو لحرفهم ، ولكن العلم بطىء الحصول وليست كل الطباع تقبله ، والجزء الغالب عليه الوهب من الله لا الكسب ، فطائفة من العمر تنقضي في تحصيل متنه وطائفة من العمر ثانية تنقضي في تصوره واخذه عن الشيوخ وطائفة ثالثة في تحقيقه . ثم بعدذلك كله فصفة العلم ليست من الصفات المحسوسة الظاهرة كالحسن والقبح ، ولا مما يدخله الكمية والمقدار المحسوس ليعرف التفاضل فيه بالذراع والشبر وقياس احد المطلوبين على الآخر ، ولا الدال على صفة العلم وهو البيان والنطق ظاهراً مكشوفاً لكل احد ، كالشجاعة التي يعرف بها القوى من الضعيف بالإفتراس والإلقاء على الأرض ، وكالاجادة في المصنوعات المرئية المشاهدة ، بل صفة العلم من الصفات النفسانية والكمالات الحاصلة بقوة النفس الناطقة والقوى الباطنة فهي قابلة للجحد والإنكاروالمدافعةوالتغطية عليها عند أهلها ، وقابلة ايضاً لأن يدخل فيها غير اهلها بالتلبيس والتصنع والتمويه والجاه .

ويعين على خفائها وجهل الناس بمكانها من صاحبها وقبولها للتصنع والتمويه ان العلم مستدع لفاهمة وحافظة ، وقلّ أن يجتمعا في شخص ، وذلك لما ان القوة الحافظة من مقدم الدماغ والقوة الفاهمة مما يلي مؤخر الدماغ في وسطه ، وبقدر كمال احداها بموادها تنقص الأخرى لتقابل المكانين

وان شئت قلت : ان البطن المؤخر من الدمـــاغ محل الاسترجاع

والتذكر ، والبطن المقدم محل التخيل ، وبقدر كمال احداهما بموادها تنقص الأخرى لتقابل المكانين . او لأن الفهم يستدعى مزيد رطوبة في الدماغ والحفظ يستدعي مزيد يبوسة ، والجمع بينهما محال كما قاله الإمام فخر الدين الرازى في كتابه المصنف في مناقب الشافعي ناقلاً له عن الحكماء .

وان من العلماء من له قلم وكتابة وليس له بيـــان ولا جدل ، لأن مزاجه يتغير بالمماراة والمدافعة غضباً أو حياءاً ويضيق قلبه انفعالا عن ذلك فيحصل الحبسة في لسانه بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه ، او لعدم دربته (١) ومهارته بالبحث ، اولعيـــه وحبسته ، أو لان فى العلم والكتابة استعانة على تشييع القوة النفسانية وضبطها عن التشتت ، وهذا مستمد مما ذكره الحكماء في كتبهم من ان نفوس الكهان لمـــا ضعف استعدادها تشبثت بأمور جزئية تكون مشيعة لها ومانعة من تشتتها ، كالسجع ورؤية الماء وسنوح سانح .

ومنهم من له بيان وجدل ولا قلم ولا كتابة له ، إما لفصاحته مع عدم وقوفه على حقائق العلوم ، وإما لفساد تراكيبه اهمالا واحترازاً وان كان واقفاً على حقائقها . والقلم يضبط العيوب ويكون شاهداً عليه بخلاف العبارة ، لإمكان المكابرة والإعتذار فيها وامكان تغييرها عند المضايقـة ، واما لدربته ومهارته في البحث وحسن انتقاله فيه وتغطيته على جهله وقلة مبالاته .

وان من العلماء من يزيد علمه على عقله فلا يحسن الغطاء على مجهولاته ولا الإعتذار عنها ، مع ان مجهولات الإنسان اكثر من معلوماته بل لانسبة لمعلوماته الى مجهولاته .

---

(١) الدربة بالضم هي الضراوة والاعتياد على الشيء ، والحبسة بالضم : تعذر الكلام عند ارادته ، والعي : العجز عن النطق .

ومنهم من يزيد عقله على علمه فيضع الأشياء في حاقّ (١) مواضعها ويضيف اليها رونقاً وبهاءاً وتهويلا وتمويهاً .

وان من العلماء من له صوت لاهماله والبكـــاء صغيراً لفقر اهله او لتسليط البكاء عليه في المهد والمخارج رطبة لينة فيفتح العياط لهواته وتتسع مجاري صوته وتتصلب اوداجه .

ومنهم من لا صوت له لعدم ذلك ، ومن لا صوت له مغلوب عاجز عن المباحثة ، حتّى ان بعض الناس علمه صوته وفخره نغمه ، وما أحق هذا المقام بقول القائل :

فقلت لمحمد لما التقينا   تنكب (٢) لا يقطرك الزحام

وان من العلماء من له علم بلا جاه ولا وجاهة ، فلا يمكنه المقاومـة ويتلعثم لسانه ويتغير للإجلال ، ويدافعـه الوهم ويقول فلا يلتفت اليه او يرد عليه رداً جاهياً تقبله العامة . ولله در القائل :

اذا التقى الخيل فى معسكرها   فكيف حال البعوض في الوسط

والقائل :

حياة بلا مال حياة ذميمة   وعلم بلا جاه كلام مضيع

ومنهم من له جاه وحاله فى ذلك ظاهر لا يحتاج الى الكلام عليه .

واذا تقرر لك ذلك كله علمت أن العلم اقبل شيء للخفاء والجحد والتلبيس والتصنع ، وكيف الرواج بحرفة مجحودة او خفية او يشاركفيها بالتلبيس والتمويه .

(ومنها) ان ما فى أيدي الناس إنما هو ثمرة أموالهم وتكسباتهم

---

(١) في القاموس وحاق الجوع (اى بتشديد القاف) صادقه ، ورجـــل حاق الرجل وحاق الشجاع وحافتهما كامل فيهما .

(٢) اى اعدل عن طريقي لئلا تصرعك مزاحمتي .

بأعمالهم ، حتى لو فرضنا شخصاً خالياً من المال والتكسب لم يكن إلا شحاذاً مكدياً ، وعلى قدر احتياج الناس الى نوع ذلك المال ونوع ذلك التكسب يكون نفاقه بينهم ، وبقدر نفاقه (١) تعظم ثروة صاحبه وغناه، فلذلك لا تعظم ثروة اصحاب منصب القضاء والفتوى والتدريس غالباً وذلك لعدم احتياج جمهور الناس الى ما بأيديهم احتياجاً لازماً لا مندوحة عنه ، لما ان الأمور المفتقرة الى القضاء تنفصل بغير قضاء تارة لرجوع المبطــل عن عناده لوازع دين او عار أو خوف مترقب او نحوها ، وتنفصل بالسياسة وبوجوه الناس تارة أخرى ، ولما ان العلوم مباينة لطبائع البعض ومهجورة عند البعض ومستثقلة على البعض .

الفصل السادس

(في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات)

(ليس إلا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرفة من الحرف)

هذه الدعوة مركبة من ثلاثــة امور : « الامر الاول » ان العلوم كانت حرفة من الحرف وصناعة من الصنائع . « الامر الثاني » ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة وزال منها معنى الإحتراف والصنعة . « الامر الثالث » كونها كمالات وطاعات .

وبيان ذلك يفتقر الى مقدمتين :

(المقدمة الأولى) ان هذه الشريعة ناسخة لجميع الشرائع وأحكامها باقية بقاء الدهر . ثم ان الاحكام كلها متلقاة من الله تعالى ولا مدخل للعقل في إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما ، ولذلك قيل في حد الحكم الشرعي

---

(١) النفاق بالفتح : رواج الشيء ، وبالكسر المداهنة والخداع ، ومراد المؤلف الاول كما هو واضح .

خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالإقتضاء أو التخيير ، فقيل « خطاب الله » لأن السنة والإجماع والقياس ترجع اليه بالأخرة . والكتاب والسنة والحكم الشرعي مفتقر إلى العلوم بأسرها . وبيانه انه بالنظر إلى المفرد الذي يستدل به وصحته في حالة إفراده يفتقر إلى علم الصرف ، وان النظر في صحة التركيب يفتقر الى علم النحو ، وفي تطبيق اللفظ على مدلوله يفتقر الى علم اللغة ، وفي إظهاره وإضماره والتفاته وتقديمه وتأخيره ونحوها مما يرجع إلى مطابقة اللفظ لمقتضى الحال الى علم المعاني ، وفي حقيقته ومجازه وكنايته واستعارته ونحوها مما يرجع إلى إيراد العلمين إلى علم البديع ، وبالنظر في خاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ونحو ذلك إلى المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة الى علم البيان ، وبالنظر الى توابع هذين طائفة من علم اصول الفقه ، وفي مواقع القرآن إلى أسباب النزول ، وفي استيضاح معانيه إلى علم التفسير ، وفي نزوله على حروف متعددة الى علم القراآت ، وفي الاستدلال به وترتيب الأدلة الى علم المنطق والجدل وآداب البحث ، وفى الأحكام المستفادة منه وبواسطته الى الفقه ، وفي استنباط الفقه إلى اصول الفقه ، وان النظر في السنة يستلزم علم رواية السنة وحفظها وعلم الحديث والناسخ والمنسوخ وأسماء الرواة وكناهم وألقابهم ومشتبه أنسابهم وجرحهم وتعديلهم ووفاتهم والاخبار والقصص ، وإن النظر في الشارع يفتقر إلى علم الكلام .

ثم ان العلوم بعضها مربوط ببعض ومتعلق به إما على سبيل الاستلزام أو على سبيل الاستمداد ، وهذه العلوم المذكورة تستلزم جملة من علوم الحكماء والأوائل ولو بواسطة أو وسائط ، كاستلزام الفقه بواسطة الفرائض والإقرارات المجهولة علم الحساب وهو الارتماطيقي وعلم الجبر والمقابلة ، وبواسطة اختلاف أحكام الوصية وما فى معناها بالمرض المخوف وغيره

واباحة التيمم بالمرض ونحوه الى علم الطب ، وكاستلزام علم الكلام للطبيعه والرياضة والمنطق ، وكاستلزام تعيين معرفة القبلة على كل واحد في رأي الرافعي أو على مريد السفر في رأي النووي وهو من الفقه معرفة طائفة من الهيئة ، وكذلك معرفة دخول الوقت ، واستلزام الاستشهاد بالشعر في النحو والتفسير علم العروض ، وعلى هـذا القياس قس تجد العلوم مرتبطة بعضها ببعض بالاستلزام أو الاستمداد .

(المقدمة الثانية) ان الحفاظ للقرآن بكماله في عصره صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبو زيد سعيد بن عمر الأنصاري وأبو الدرداء عويمر وزيد بن ثابت ، وفي قول وعثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الانصاري . وأصحاب الافتاء في عصره صلى الله عليـــه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبيّ بن كعب وعبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري .

ثم انتهت اصول العلم الى عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عباس ، فأخذ عن ابن مسعود ستة علقمة والاسود وعبيـدة والحرث ابن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل ، وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلا ممن كان يتبع رأيه ويقتدى بقوله قبيصة بن ذؤيب وخارجة ابن زيد وعبيـد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبـد الرحمن بن الحرث والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله وسعيد بن المسيب وأبان بن عثمان وسليمان بن يسار ، وأخذ عن ابن عباس ستة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهـد وجابر بن زيد وطاووس ـ هكذا رواه أبو بكر الخطيب باسناده عن علي المديني ، وروى الحاكم أبو عبـــد الله عن أبي العباس الأصم عن العباس

الدوري قال : انتهى علم الصحابة الى ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ـ انتهى .

وانتهت اصول الرواية الى ستة أبي هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة ، وانتهت أصول الأخبار والقصص الى ستة عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وطاووس اليماني ومحمد بن اسحق ومحمد بن عمر الواقدي ، وانتهت صناعة التفسير الى ستة عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى ـ هكذا ذكر هذا كله جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المسمى تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير .

ثم صار الامر من بعده صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان ، بويع له في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ، ثم بويع له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، وتوفى لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال .

ثم استخلف عمر بن الخطاب يوم وفاة أبي بكر بنصه عليه ، ثم قتل لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام .

ثم استخلف عثمان بن عفان أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت ولايته احدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأياماً .

ثم استخلف علي بن أبي طالب ، وقتل في رمضان سنة اربعين في يوم الجمعة ، وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وأياماً .

ثم بايع الناس الحسن بن علي يوم موته ، فوليها سبعة اشهر واحد عشر يوماً ويقال اربعة اشهر ، ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه في جمادي الأولى سنة احدى وأربعين ، فانتقل الأمر الى بني أمية وخلص لهم ثنتين وثمانين سنة ألف شهر ، وعدتهم اربعة عشر رجلا أولهم معاوية وخلافته سبع عشرة سنة وثلاثة اشهر وآخرهم مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم ومدة ولايته نحو من ثمان سنين .

وبعد معاوية يزيد بن معاوية ، وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرين ثم بويع لابنه معاوية بن يزيد ، فمكث اربعين ليلة ثم مات ، وقيل خلع نفسه لصعوبة الأمر عليه .

ثم بويع لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع خلون من رجب سنة اربع وستين ، ثم قام مروان بن الحكم بالشام بعد بيعة ابن الزبير بأشهر فبايعه جماعة من أهل الشام ، وذلك في المنتصف من ذى القعدة سنة اربع وستين ثم مات في رمضان سنة ٦٥ فكانت ولايته تسعة اشهر وثمانية وعشرين يوماً

فقام مقامه عبد الملك ابنه وجهز العساكر مع الحجاج بن يوسف لقتال ابن الزبير ، وقتل ابن الزبير في المسجد الحرام بمكة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وكانت ولايته تسعة أعوام وشهرين ونصفاً .

ثم ولي الوليد بن عبد الملك وتوفى سنة ٩٦ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر ، ثم استخلف اخوه سليمان بن عبد الملك وتوفى سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين إلا اربعة اشهر ، ثم استخلف عمر بن عبدالعزيز وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام ، ثم استخلف يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته اربع سنين وشهراً ، ثم استخلف اخاه هشام بن عبد الملك وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وسبعة أشهر وعشرة أيام ، ثم استخلف

الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته سنة وشهرين ، ثم استخلف يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ثم بويع ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الملك ، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وقتل سنة ١٣٢ هجرية .

ثم انتقل الامر الى بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فتولى ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في ربيع الأول وقيل الآخر سنة ١٣٢ وتوفي في ذى الحجة سنة ١٣٦ ، فكانت خلافته اربع سنين وعشرة أشهر .

ثم تولى بعده أخوه المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد ، وكان اكبر سناً منه وحج فتوفى لسبع خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ ، فكانت ولايته اثنين وعشرين سنة إلا شهراً .

ثم ولى المهدي بن محمد بن عبد الله بمكة وتوفي لثمان بقين من المحرم سنة ١٦٩ ، وكانت خلافته عشر سنين وتسعة واربعين يوماً .

ثم ولى ابنه الهادي موسى بن محمد ، وكانت خلافته اربعة عشر شهراً واحدى وعشرين يوماً .

ثم ولى بعده أخوه الرشيد أبو جعفر هارون بن محمد ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً .

ثم ولى بعده ابنه الأمين أبو عبد الله محمد بن هارون وقتل في المحرم سنة ١٩٨ ، وكانت خلافته اربع سنين وستة أشهر واربعة وعشرين يوماً .

ثم ولى أخوه المأمون عبد الله بن هارون في المحرم ومات ببلادالروم لثمان خلون من رجب سنة ٢١٨ ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسةأشهر وثلاثة عشر يوماً .

ثم تتابع العباسيون واحداً واحداً الى ان ختموا بالمستعصم ابي احمد عبد الله بن المنتصر بالله ابي جعفر منصور ، وكانت عدة خلفاء بني العباس

سبعة وثلاثين خليفة وجملة أيامهم خمسمائة سنةواربع وعشرون سنة ، ولم تكن ايدى بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، فقد خرج عن بني العباس بلاد المغرب .

وانما ذكرت هذه المقدمة بطولها لتعرف ترتيب الدول ، فان تغير الأحوال انما هو بتغيير الملوك وتتجدد العوائد بحسب احوال الملوك وسيتضح لك ذلك بإذن الله تعالى .

اذا تقرر ذلك فاعلم ان العلوم الاسلامية لم تكن مدونة ولكن اقتضتها الشريعة اقتضاء واستلزمتها لزوماً وأفاضتها افاضة كما تقرر فى المقدمة الاولى وتلقت الصحابة اصولها من حضرته صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم الوحي وتفقههم بأسباب النزول وما أفاضته عليهم أنوار النبوة ، ثم ثابروا على الحق وتساءلوا وتناظروا واجتهدوا وتراجعوا عند اختلافهم الى من عنده مزيد علم بالمختلف فيه ، وتواصوا وتعاونوا على امضاء الشريعة وتشييعها وإلزام الناس بها وإكرام حملتها وملوك الناس علماؤهم والعلماء الكبار قليلون كما مر في المقدمة الثانية ، على ما هو العادة في الأمور المبتدأة كيف تكون في مبدئها وأولها قليلة ، وما ظنك بالشيء المحتاج اليه مع قلته . ويلزم من ذلك كله وفور الداعية في تحصيل العلم ومزيد الإعتناء به والرغبة فيه ، ولذلك كانت الفضائل والكمالات والعلوم تأخذ فى الإزدياد والنمو لنفاق اصحابها ولبقاء أنوار النبوة غضة طرية بين الناس ، وكلما ازدادت الشريعة تمهيداً ونشراً ازدادت الصحابة وحاشاهم من تعلق هممهم بالدنيا سيادة ويسراً ، فلقد كثر المال في خلافة عثمان بن عفان كثرة بالغة لم يكثر قبلها في خلافة من تقدمه حتى جاء نصيب الفارس فى غزوة افريقية ثلاثة آلاف دينار أو عشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان رضى الله عنه فى يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

ثم صارت الخلافة من الخلفاء الأربعـــة والحسن رضى الله عنهم الى الأمويين فالعباسيين على ما تقدم في المقدمة الثانية ، وهم ما بين صحابي وتابعي ومدل بنسبته الى النبي صلى الله عليـــه وسلم والشريعة التي العلوم خدمتها شريعة قريبهم وصاحبهم وسيادتهم وفخرهم ، واستيلاؤهم على الممالك بـــه صلى الله عليه وسلم وبشريعته المستلزمة للعلوم على ما مر فى المقدمة الاولى فكيف لا تأخذ العلوم في الإنتشار والملوك والأمراء والاعيان والقضاة والوزراء هم أهل العلم والفضل والعقل او الممدحين الكمل ، وشهرتهم وذكر اسمائهم في غالب خطب كتب الاقدمين تغنى عن عدهم بالاسماء ، فقلّ ان يخلو كتاب من كتب العلماء الاقدمين خصوصاً فى العلوم العقليـــة والادبية إلا ويذكر فيه ان الباعث على تدوينه وزير أو قاض أو أمير أو من فى معناهم ، ويلزم من ذلك قوة داعية التعلم وتوفر الإرادة له ، لما ان المجانسة واتحاد المقاصد والتعاون على مقصد واحد واستمداد العلماء بعضهم من بعض وزيادة العلم ورسوخه بالبحث فيه والمذاكرة له كل ذلك مقتض للألفة والمحبـــة والإختلاط والعناية ، وألفة الملوك والاعيان ومحبتهم والإختلاط بهم يقتضى تأليفهم ومن يحبونه الى مقاصده ومآربه ، ولذلك بنيت المدارس بألوف الدنانير لجنس العلماء أو لواحد منهم بالقصد الاول ولجنسهم بالقصد الثاني واتسع الحال بالعلماء انفسهم حتى بنواهم لبنى نوعهم مدارس كثيرة وكتب التاريخ طافحة بهذا .

ولذلك ايضاً بذلت الالوف في الإرشاد الى تصحيح كلمة او مساعدة على مقصد علمي ، كحكاية النضر بن شميل مع المأمون وانه امر له بخمسين ألف درهم يقبضها من الفضل بن سهل على ان ارشده الى ان السداد الذي بمعنى البلغة وسد الثلمة بكسر السين لا بفتحها ، وان الفضل زاده من عند نفسه لذلك ثلاثين ألف درهم فتم له ثمانون الف درهم . وكحكاية

أبي عثمان المازني واحضار الواثق اياه من البصرة ليسأله عن نصب رجل أو رفعه في قول العرجي :

أظلوم أن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

وأمره على توجيهه إياه بألف دينار . وكحكاية أحمد بن دعلج أبو محمد السجزى (١) الفقيه المعدل المحدث الرئيس صاحب الأموال الجزيلة التى أنفق أكثرها في العلم وأهله المتوفى عن ثلاثمائة ألف دينار سنة ٣٥١ ، حيث بعث بمسنده الى ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً . وكحكاية عبد الله بن طاهر حيث رتب للقاسم بن سلام أبي عبيد في كل شهر عشرة آلاف درهم لما وضع كتابه في غريب الحديث وقال له : ان عقلاً يعين صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ان لا يحوج لطلب المعاش . وكحكاية علي بن محمد بن الفرات من انه كان ينفق على خمسة آلاف من العلماء والعباد ويجرى عليهم نفقات كل شهر ، وكغير ذلك من أخبار المدح والكلمات العلمية مما يغنى تواتره المعنوى عن الإطالة به .

ولذلك أيضاً كان التقريب والتبعيد والضعة والشرف على حسب الاستعداد والاستحقاق ، وذلك كله يستلزم كون العلوم والكمالات صنعة من الصنائع وحرفة من الحرف ، لما ان الناس كانوا يرون احتياجهم الى العلماء فوق احتياجهم الى الحاكة والباعة والصناع وباقي الحرف اضعافاً مضاعفة .

وكان العلماء يسترزقون بعلومهم ومعارفهم ويتخذونها ذرائع ووسائل الى مقاصدهم فوق استرزاق الحاكة والخاطة أضعافاً مضاعفة ، فلذلك اتسع نطاق العلم ودونت الدواوين وصنفت الكتب وهذبت ورتبت وبسطت واختصرت واستبحر العلم استبحاراً وذخرت أمواجه وأخذ الى أبعد مسافة من أقطار الارض شرقاً وغرباً ، حتى ان علوم الشريعة كلها من التفسير

(١) نسبة الى سجستان على غير قياس .

والنحو والاصول والمعاني والحديث أكثر أصحابها العجم على بعد قطرهم ، مع ان صاحب الشريعة عربي وكتابه عربي والمتلقون عنه وهم الصحابة عرب .

ولذلك سبب اذكره استطراداً ، وهو ان الشريعة لما استلزمت العلم على ما مر وكان العلماء هم الملوك والاعيان وكان نفاق العلماء والإحتياج اليهم فوق نفاق الخياط والحداد والحائك والإحتياج اليه واسترزاق العلماء بعلمهم فوق استرزاق هؤلاء بحرفتهم صار العلم حرفة من الحرف على ما تقدم ، وقاعدة الحرف ان موجوديتها وكثرتها ومهارة اهلها يدور مع التمدن والحضارة ، فكلما ازداد القطر تمدناً وحضارة ازدادت الحرف إحكاماً ومهارة ، فلذلك لا تجد فى القرى من المصنوعات ما يوجد في المدن ولا فى صغير المدن ما يوجد في كبيرها ، لما ان رواج الحرف ونفاقها هوسر موجوديتها وإحكامها ، لأن الناس لا يضعون سلعهم حيث لا تقبل أو لا تنفق ؛ وكبر المدينة وكثرة اهلها يستلزم النفاق لاحتياج الناس واختلاف اغراضهم وهممهم احتياجاً على البدل والتناوب الى المصنوعات ، واستلزام ذلك لحكم البدلية والنوبة عدم الشعور والخلو واقتضائه للنفاق ، لأن توزيع المجموع على المجموع مع الكثرة على البدل والنوبة مستلزم لذلك لا محالة . ومملكة فارس والعجم كانت اكثر تمدناً وحضارة ، فلذلك انتشرت العلوم فيها واحكمت إحكاماً بليغاً الى حد لا يوجد فى غيرها لكثرة ناسها وعظم مملكتها . هذا كله فى تبيين ان العلوم كانت صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف .

(وأما الامر الثاني) وهو ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف فذلك ان الحرف والدول لها شباب وهرم ولها عمر طبيعي كأعمار الحيوانات والأمور المعنوية تتراجع وتتناقص عند التناهي كالامور الحسية ، وكنا قد قدمنا أن العلوم اقتضتها الشريعة اقتضاءاً

وان الصدر الأول تشايعوا على إظهار الشريعة ولوازمها وتوابعهافراج العلم والعلماء لذلك ، ولا شك ان الدول بعد الخلفاء الأربعة وان كانت فوق عصرنا هذا في الانتظام والسداد اضعافاً مضاعفة لكنها دون عصره صلى الله عليه وسلم ، ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية علي بن الجعد عن حماد عن سعيد بن جمهان (١) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » .

وخرّج البيهقي فى دلائل النبوّة عن ابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكانتا خلافة ورحمة وكانتا ملكا عضوضاً وكانتا عتوّاً وجبرية وفساداً في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابداً حتى يلقوا الله عز وجل » وخرجه ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنة بنحوه مختصراً .

ولسر هذه الاحاديث تجدد في الدول بعده صلى الله عليه وسلم ما لم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم واستعجم الملك ، وتجددت فيه أحوال فارس والعجم من الملابس الفاخرة والمساكن الانيقة والحجاب ومضاعفة الحجاب ومن الوزراء والجاويشية والجونداريه واصناف امراء ووظائف واسماء لم تكن فى عصره صلى الله عليه وسلم ، وحدث تخطى الحدود والتعازير وتشنيع القتل وايقاعه بغير موجب شرعي ، وزالت احوال البداوة من خوف المذمة وشدة الحياء والكرم والتبذل فى المأكل والملبس والمركب ومن اتخاذ التواضع خلقاً ، وحدثت الحوادث وكثرت الخوارج والمتغلبون

(١) جمهان كعثمان : محدث من التابعين .

على العباسيين الذين يدلون بنسبهم اليه صلى الله عليه وسلم ، ونزلت سيادتهم بشريعته المستلزمة للعلوم كما تقدم ، فخرجت حصة من مملكة الشرق من أيدى العباسيين فى دولة بني بويه على يد يحكم وغيره ، ثم زالت أيديهم عن العراق كله ، وخرج الحكم عنهم فيه اصلا سنـــة وشهوراً في ايام ارسلان البساسيري في حدود الخمسين والاربعمائة ، ثم عاد الى ان اخرجه عنهم مطلقاً واستأصلهم هلاكو بن طولى خان بن جنكيز خان .

وكان الصدر الاول يدبرون افعالهم على محض الشريعة ، ثم جاء من بعدهم فأدخلوا فيها بالاستدلال والتمحل جملة من السياسة ، ثم فعلوا أموراً سياسية وهونوها على الناس بالإعتذار ، ثم اتسع نطاق السياسة وأدار الملوك احوالهم على عقولهم واحدث جنكير . خان الياساق الذي وضعه وجعل الناس يتحاكمون اليه ويطلع الى جبل ويزعم انه يوحى اليه به ، واكثره مخالف لشرائع الله وكتبه وانما هو شيء اقترحه من عند نفسه بعد الستمائةوأوحاه اليه شيطانه ، وكان يكتب ابساقه فى مجلدين بخط غليظ ويحمل على بعير ويبالغ فى تعظيمه ، وكثرت الحوادث السياسيـــة والامور العقلية المخالفة للشريعة واستغناء الحكام بعقولهم مما يقتضى طي بساط العلم ويفضى الى عدم الاحتياج اليه ، فان النفوس حكوّية من شأنها المحاكاة في الشر ، ومهما صدر شيء وزال بقي منه أثر في النفوس ، وزواله الظاهر لا يستلزم زواله من النفوس وزوال الاستدلال بهوروايته على سبيل الاستحلاء والاستحسان .

وهذا كله يستلزم طي بساط العلم وعدم الحاجة اليه ، لما ان العلوم من لوازم الشريعة وتوابعها كما قررناه واعدناه غـــير مرة ، واذا ضعف العمل بالملزوم وتسوهل فيه فأولى ان يضعف الغمل باللازم ويتساهل فيه، ولذلك لم يبق من العلم سوى رسومه ومعاهده كالمدارس القديمة وسوى ما يوجبه ناموس الاسلام من الإعتراف بحقه ظاهراً .

فقد اتضح عندك خروج العلوم عن كونها مظنة الإستحقاق ومطية الإسترزاق ، وكيف لا وقد صارت الوظائف الدينية تباع كما يباع الفرس والحمار ، وهو الذي يسمونه نزولاً واعراضاً ويوصى بها كما يوصى بالفرس والدار ، وهو الذي يسمونه نزولاً أيضاً وتورث كما تورث الأموال يأخذها الصغار والأطفال .

وانت اذا رجعت علمت ان كثرة الحوادث الخارجة عن الشريعة تحدث في النفوس محاكاة وأثراً واستدلالاً ، وان الناس على دين مليكهم وهم بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وان الملوك أسواق يحمل اليها ما ينفق فيها ، وان الصنائع تدور مع النفاق وجوداً وعدماً ، وان وثوق المحترف من الباعة والحاكة والخاطة بإفضاء حرفهم الى ثمرتها اكثر من وثوق العلماء بإفضاء علمهم الى ثمرته الدنيوية ، وأن اهمال الصنعة والإستغناء عنها بغيرها يوجب اضمحلالها زوالها ، وما نسب لذلك مما تجده وتشاهده من اهمال المنطق والحكمة بالشام واستعماله بالروم والعجم تحققت ان العلوم خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف . اللهم الا ان يحييها الله تعالى وينشرها ويبثها في أيام الملك المؤيد وينشرها ، فهو الذي عمر المدارس بمصر والشام بمعروفه وبره وبآرائه الموفقة وساطع أمره وقهره واحياء معالم العلم شرعه وشعره ، ابقى الله دولته بقاء الفرقدين وملكه ما بين المشرقين .

(وأما الامر الثالث) وهو كون العلوم كمالات وطاعات فهو ان الإنسان إنما ينفصل عن الحيوان بالنطق ، وليس المراد به الصوت المنضغط فى المجرى على مقاطع الحروف وإلا لكان الاخرس غير انسان ، ولا الكلمات المنتظمة والا لكانت الببغاء والغراب انساناً ، وانما المراد به النفس الناطقة وهي التي لها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة ، وهي التي تملك الطبائع

القياسية وغير القياسية وتكون فلسفية وحكمية وتبحث عن العلوم النظرية، ولها الاستدلال بظواهر الأمور على بواطنها ومعرفة ترتيب الموجودات في الوجود ، وهذه القوة كمالها وحياتها بالعلم والبيان ، فتميز الانسان بما هو انسان بالعلم والبيان والا فغير الانسان من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه وأقوى بطشاً وأكثر جماعاً وأولاداً وأطول عمراً ، وإنما يتميز عن الدواب والحيوان بعلمه وبيانه فاذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شراً منهم كما قال تعالى : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » فهؤلاء هم الجهال « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » وقال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً » سواء كان المعنى مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع من الدواب ، أو مثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذي ينعق ، فهؤلاء لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان .

وأيضاً فالجهل من أعظم الأدواء والأمراض ، وقد سماه الله مرضاً في قوله تعالى في حق المنافقين : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » وقوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون » وفي قوله : « ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض » فإن المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة ، وكذلك أمراض القلب جميعها من الشهوة وغيرها كالرياء والعجب والحسد والفخر كلها ناشئة عن الجهل ، فإنها مركبة من الشهوة والشبهة ، فإن الكبر مثلاً مركب من تخيل عظمته وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم اياه ، ودواء هذه الأمراض كلها العلم ، ولذلك أكثر الغزالي رحمه الله في المهلكات من ذكر دواء العلم في كل مرض مرض من أمراض القلوب ، ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور

ولذلك أيضاً ترى داء الجهل متلفاً للاموال غالباً ، فرب شخص يتحيل عليه بحيلة شرعية يجعلها طريقاً الى اخذ ماله ، ولولا جهله بالشريعة لما تمت عليه .

وأيضاً ما روي عن ابن عمر يرفعه « افضل العبادة الفقه » وقال عمر رضي الله عنه « موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلاله وحرامه » وما رواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه عن ابن عمر يرفعه « مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة » وما رواه أيضاً من حديث عبد الرحمن بن عوف يرفعه « يسير الفقه خير من كثير العبادة » قال ابن قيم الجوزية في مفتاح دار السعادة : وفى رفعها نظر . وما رواه أيضاً من حديث انس يرفعه « فقيه عند الله أفضل من ألف عابد » وهو في الترمذي من حديث روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً . قال ابن القيم : وفى ثبوتهما مرفوعين نظر . والظاهر ان هذا من كلام الصحابة فمن دونهم ، وما رواه المخلص عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل بن مربع حدثنا حجاج بن نصير حدثنا هلال بن عبد الرحمن الجعفى عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي هريرة وابي ذر قالا : « باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوعاً وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً » وما رواه الخطيب أيضاً عن أبي الدرداء انه قال : « مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة » .

وما رواه ابو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقا يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم يستغفر له من فى السماوات ومن في الأرض حتي الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر

الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء وان الانبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً إنما ورّثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر » .

أما وضع الملائكة أجنحتها فتواضعاً وتوقيراً وإكراماً لما تحمله من ميراث النبوة ، لانه طالب لما فيه حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم مناسبة ، لأن الملائكة يحرصون على منافع البشر يعينونهم على أعدائهم الشياطين ويستغفرون لمسيئهم .

قال الطبراني : سمعت ابا يحي زكريا بن يحي الساجي قال : كنا نمشي في بعض الأزقة الى باب بعض المحدثين بالبصرة فأسرعنا المشي وكان معنا رجل تاجرٌ متهم في دينه فقال : ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزىء ، فما زال من موضعه حتى حفيت رجلاه وسقط

وأما استغفار من في السموات ومن في الارض له فانه لما كان ساعياً فى نجاة العباد جوزى من جنس عمله وجعل ما في السموات والارض ساعياً فى نجاته . وقيل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هــذه الحيوانات ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وذبحها فاستحق ان يستغفر له البهائم .

وقوله : « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب » مطابق لحال القمر والكواكب ، فان القمر يضيء الآفاق ويمتدّ نوره في أقطار العالم ، واما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه وما قرب منه ، وهذا حال العابد .

ووجه اختيار القمر على الشمس وان كان الشمس اكثر نوراً واضاءة أن القمر لما كان نوره مستفاداً من الشمس كان تشبيه العالم الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر اولى من تشبيهه بالشمس .

وأيضاً فنور القمر يتفاوت بتفاوت الليالي نقصاناً وتماماً ، والشمس

نورها في كل الأيام على السواء ، والعلماء يتفاوتون في العلم تفاوتاً كثيراً ، فتشبيههم بالقمر أنسب لحالهم .

واما تشبيه العلماء بالنجوم في قوله صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم » فمن وجه آخر وله حكمة أخرى ، فان النجوم يقتدى بها فى ظلمات البر والبحر وتكون رجوماً للشياطين ، والعلماء كذلك يقتدى بهم فى ظلمات الجهل والكفر وترجم بهم الشياطين الذين يوحون الى أوليائهم زخرف القول غروراً .

الفصل السابع

(في السبب في غلبة الفلاكة والإهمال والإملاق على نوع الانسان وبيان ذلك)

اعلم ان المفلوكية والإهمال والإملاق غالب على جنس البشر ، والسبب في ان غالب البشر يرمقون العيش ترميقاً (١) ويدافعون اخفاق المساعي مدافعة ويتسكعون في طرق الإملاق أو فوقه بقليل تسكعاً أن السيادة والمجد والثروة والغنى وأشباهها إما مكتسبة وإما موروثة ، فأما المكتسبة فما سوى الامارة من المعاش الطبيعي اما تجارة أو فلاحة أو صناعة ، فالتجارة مفتقرة الى مادة متسعة ورأس مال كبير يدار في وجوه الأرباح والتثمير ويوزّع على أنواع المتاجر لينجبر كساد بعضها بنفاق الآخر وليستعان بالنافق على ادخار الكاسد ارتقاباً لحوالة الأسواق واستدراراً للنفاق ولكيلا يباع الكاسد في حال كساده وذهاب ربحه وفساده ، وأيدى الناس خالية عن الأموال المقنعة القابلة لمثل ذلك غالباً .

---

(١) الترميق : العمل بعمله ولا يحسنه يتبلغ به ، وهو مرمق العيش ومرمقه كمعظم ومحمر ضيقه . وقوله « ويتسكعون » أى يذهبون متحيرين لا يدرون أين يأخذون .

وأيضاً فهي محتاجة الى بصيرة تامة ودراية وافية وتجربة كاملة ليؤمن بها غش الباعة وخلابتهم وترويج السماسرة كواسدهم ، ومفتقرة ايضاً الى فراسة صادقة وحدس صحيح ليضع كل سلعة في حاق موضعها زبوناً وسوماً وترخيصاً واغلاءاً وحلولا وتأجيلا وادخاراً وتعجيلا ، ونفوس الناس غالباً ظلمانية لخلوها عن العلوم العقلية والأعمال الرياضية ، فهي بعيدة عن البصيرة .

وأيضاً فالأيدي الغاصبة الخاطفة مستولية على التجار لمقهوريتهم مع الدولة وحامية الملك وخاصته المخادعين بالإستدانة والارباح الكاذبة والمواعيد الباطلة والرهون الغير المملوكة والإلتجاء الى الاعسارات والحيل الشرعية والاستعانة بشهود الزور ووكلاء السوء ، وربما تكرر ذلك على التاجر الماهر فعاقه واقعده عن أمثاله حتى على رأس ماله .

وأما الفلاحة فعوارضها السماوية اكثر من ان تعد من البرد والهواء المفرطين وانقطاع المطر وكثرته فى غير وقته ونزول كبار الحصى والبرد وثقيل الثلج وشدة الحر ومجيء الجراد المنتشر ، وكذلك العوارض الأرضية من سوء النبت وسباخة الأرض وخبث طينها ووضع الأشياء متأخرة عن أوانها وعدم استكمالها بحرثها وشروطها ونبات الأشياء المضرة خلال الاشياء المطلوبة ، ومن الجرذ والفار واليربوع ، ومن رخص البقول والخضراوات وما في معناها مما لا يقبل الإدخار مع غلاء بذرها ، ومن عدم نصيحة المعاونين فيها وخباثتهم واختلاسهم وتفويت الأعمال الكمالية المصلحيةوتسليط الظلمة عليهم واستعبادهم وتوسيع شروط مقاسمتهم وفرض الفرائض والتفنن في وجوه الجبايات وانواع الظلامات وإلجائهم الى بيع زراعاتهم فى حال كسادها وعدم رواجها مع ما يختص به أهل البدو من رداءة العيش وخشونته والبعد عن أحوال الحضارة من الرفاهية والترف وموجوديةالمطالب

والتحلي بالعلوم ، ثم مع ذلك كله ما هم عليه من دخول المهانة فى قلوبهم وظهورها في أحوالهم وعلى شمائلهم ، وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم : « ما دخلت السكة دار قوم إلا دخلها الذل » .

وأما الصناعات فلقلة الماهر الحاذق فيها . وعلى الجملة فالصنائع شاغلة لأصحابها عن الدّعة والراحة والرفاهية ويطرقها الكساد كثيراً ونفاقها لا جدوى له ولا يحظى صاحبه بطائل ، واصحاب الصنائع باذلون رقهم وعبوديتهم بأقل قليل للفقير والغني والمسلم والذمي ، فهم بمراحل عن الشهامة وعلوّ الهمة والأنفة .

ثم جهات المعاش الثلاثة مفتقرة الى التعاون والتناصح ، وقد انقطعا من كافة البشر أو عامتهم لاتساع موجبات التباغض والتماقت لكثرة مقتضيات التحاسد والحيلولة كل واحد الآخر عن مراده الناشئة من الكبر والعجب والعداوة وخوف الازدحام على مطلوب واحد ، ولفوات بعض المقاصد بكثرة الشركاء وحب المباهاة والإنفراد بالمجد وخبث النفس وفساد جوهرها ونقص انسانيتها .

وايضاً يقال على وجوه المعاش الثلاث انه كلما تجدد للانسان دخل جدد له صرفاً ، إما للمباهاة والترفع على امثاله أو افراطاً في الشهوات وانهماكاً فى اللذات ، او خوفاً من سوء القالة والأحدوثة بتنقيص مايقتضيه حاله ، او بإكراه مبغض لتلك النعمة عليه ، أو لان الحالات المتجددة في دخله يلزمها تجدد امور في صرفه فلا يزل الشخص مفلوكاً مهملا غير قادر على المكارم .

وايضاً فوجوه المجد والسيادة الكسبية لا تصير دفعة وانما تكون بالتدريج والترقي ومكابدة تنميتها ومعالجة زوال موانعها مع كثرة الصادّين عنها والعوارض العائقة لها أمر عسير بطيء السير ، فيقضي الإنسان شطر

عمره أو معظمه في فلاكة وإدبار .

هذا حكم المعاش الطبيعي ، وأما غير الطبيعي كالإسترزاق بالكيمياء والتنجم والدلالة وقلم الشهادة لغير المعروف وسائر الأرزاق الهوائيةالخطفية الصدفية فهي ارسخ قدماً في الفلاكة والادبار ، لأنها بمنزلة اللقطة والعثور على دفائن الأرض ، لعدم انتظامها ووفاء محصولها لحمولها ، فأصحابه ـ لا سيما غير المشهور منهم ـ أئمة الفلاكة وهيولاها وينابيعها ومأواها ، أعاذنا الله من ذلك ومن الإختلاط بأهله آمين .

وأما الامارة فلا ينكر أن مبادئها مشتملة على نصيب وافر من الفلاكة والإدبار ، وبيانه : ان الإمرة لا تتم الا بالعصبية والتغلب والشوكة ، وفي قمع المعاند والجاحد وتأليف القلوب المتفرقة وتمهيد المسالك والقيام بحقوق لا تحصى وكثرة معاناة شدائد ومكابدة مكائد ومشاق وتعريض النفس للهلاك وكبراء الجند مستعبدون مع مليكهم مشغولون به عن أنفسهم مقدمون لمراده على مرادهم ، ولو سلم ان السلطنة خالية من الفلاكة فهي من القسم النادر والدعوى ان الفلاكة غالبة على نوع الإنسان لانها لازمة لكل نوع الانسان

هذا كله من المكتسب ، أما الموروث فيطرقه أنواع من الفلاكة :

(منها) امتداد أيدي الولاة والحكام اليه .

(ومنها) مذلة اليتيم وخضوعه وفقده نصيحة أبيه .

(ومنها) سهولة صرف ماله عليه لعدم تحمله مشاق جمعه وتجشمه نصب الحبائل في تحصيله ، فيسرع فيه بالسرف والتبذير والسفه لعدم حنكته وبصره بعواقب الامور ، ويعود يتكفف الناس .

(ومنها) عجزه لعدم مهارته ودربته عن الوفاء بمقاصد ماله والقيام بشروط تنميته وتثميره ، فيذوب قليلاقليلا الى ان يضمحل ويتلاشى ولا يحصل منه الا على الملامة والتعيير والندم .

(ومنها) إنكار المنكرين كونه في رتبة مورثه ومستحقاً لما كان يعاون به مورثه ويساعد عليه ، فلا يؤمنون على دعائه ولا يساعفونه على قصده ولا يسيرون معه سيرة مورثه ، فيقع من ذلك في العناء العظيم والداء العقيم . وبهذا التقرير يعلم ان الفلاكة غالبة على نوع الإنسان وارثاً كان أو كاسباً ، والله أعلم .

الفصل الثامن

(في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية)

هذا الذي قدمناه في الفصل قبله لما كان لا ينهض دليلا إلا على غلبة الفلاكة المالية على نوع الإنسان احتجنا ان نذكر في هذا الفصل أن ذلك مستلزم للفلاكة الحالية ، وأعني بالفلاكة الحالية تعذر المقاصد وانعدامها بحيث تصير الفلاكة حالا ووصفاً ذاتياً للشخص في افعاله وأقواله دفعاً وتحصيلا حكما وتعليلا .

والدليل على ذلك ان تقول : هذا مفلوك مالاً وكل مفلوك مالا فهو مفلوك حالا ينتج هذا مفلوك حالا ، وكلية الكبرى بديهي أو حسي والصغرى مسلمة بالفرض او محسوسة . أو تقول دارت الفلاكة الحالية مع الفلاكة المالية وجوداً وعدماً والدوران آية كون المدار علة في الدائر والمعلول لا يفارق علته فهو إما مقارن أو متعقب على اختلاف المذهبين . وهذا وان كان بديعاً وهو الإستدلال بالدوران على العلية وبالعلية على مقارنة المعلول اياها فليس بعيداً من القواعد ، أو يستدل بالدوران على الملازمة . وبالجملة فالدعوى تكاد تكون بديهية ، والحس والاستقراء يصدق ذلك .

ويوضح ذلك ان المال عبارة عن ملك الأعيان والمنافع ، والجاه عبارة عن ملك القلوب واستسخار أصحابها في الأغراض والأعمال لما فيها الذي

الجاه من اعتقاد الكمال والالتفات اليه ، والمفلوك لا جاه له ومال ، وكل من لا جاه له ولا مال له فهو مسلوب القدرة ، لما ان الجاه والمال من أعظم أسباب القدرة أو هما أسباب القدرة ، ومن لا قدرة له فهو عاجز عن الوصول الى مطلوباته ، لما ان مقدوراً بـــلا قدرة محال ، ولذلك لا يحصل مقصود المفلوك نادراً الا بقدرة غيره من ذوي المال والجاه .

ولذلك أيضاً لو فرض شخص لا مال له ولا حرفـــة لم يكن إلا شحاذاً مكدياً ، لأن ما في ايدي الناس انما هو ثمرة اموالهم ومنافعهم .

وأيضاً من لا قدرة له لا يتعلق الرجاء والخوف به ، ومشايعةالناس الشخص ومساعدتهم اياه على مراده دفعاً وتحصيلا وتسليمهم لهحكماوتعليلا لابد لها من داعية وغرض ليترجح احد الجائزين من الفعل والتركعلىالآخر بمرجح ، وأعظم الاغراض والدواعي تعلق الرجاء والخوف بالشخص ، لما أن الانسان يقدر هجوم الحاجات وطروق الآفات وسوء الظن بالعواقب كامن في النفوس ، لاسيما فى البلد الذي لا يكمل عدله ولا يتراحم أهله ، ولذلك لا تمل الإستزادة من الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم : « لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً » وقال صلى الله عليه وسلم : « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال » .

وذلك لأن هذه المخاوف لا موقف لهاولالها قدرمخصوص ، فمن تعلق رجاؤه أو خوفه بشخص كانت مساعدته له لأمر يتعلق بنفسه بالأخرة وكان دافعاً لألم خوفه وساعياً في تحقيق رجائه ، والشخص أنصح مايكون لنفسه لأن نصحه لهـــا طبيعي ، فلذلك تساعف الناس الأغنياء بمراداتهم وتتزلف الخلق اليهم بمطالبهم ، ويسعفونهم بمنافعهم تسليفاً وادخاراً لخوف مترقب أو رجاء متوهم وان لم ينالوا من مالهم ذرة ولا من جاههم مثقال خردلة ، واذن كانت المفاليك عن الرجاء والخوف بمعزل .

وأيضاً فالدنيا محل الإزدحام والتوارد على محل واحد بخلاف الآخرة ولذلك لا حسد في الآخرة لاتساعها ووفائها بالكل بلا ازدحام ، فما من مقصد يرومه المفلوك إلا وله فيه مزاحم ومدافع يمانعه عنه ، وتقديمه على غيره ترجيح للمرجوح على الراجح وهو خلاف صريح العقل ، ويلزم من ذلك تعذر المقاصد على المفاليك واخفاق مساعيهم فيها .

وأيضاً فالأغنياء وذوو الجاه يتقارضون المقاصد تقارضاً ويقترضونها اقتراضاً ، والتقارض يستدعى القدرة على الوفاء بالنوبة بحكم المقارضة لأنه أمر على التعاقب والنوبة والقرض لا يوضع عند المعسرين ، والمفاليك ليسوا من أهل المقارضة ولا الاقتراض ، على ان استلزام الفلاكة المالية للفلاكة الحالية كفلق الصبح عند المنصفين ، ولعل جحده مكابرة والقاعدة ان المكابرة لا يطلب لها دليل . والله أعلم

الفصل التاسع

« فى ان التملق والخضوع وبسط أعذار الناس والمبالغة في الإعتذار اليهم وإظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن أحوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك » .

اعلم أن الناس لا يبذلون منافعهم وأموالهم سدى بغير غرض ولا علة لأن المتعالى عن وجوب تعليل أفعاله بالأغراض والمصالح انما هو الله تعالى وان خالفت المعتزلة في ذلك ، فلابد للاحسان أعم من أن يكون نفعاً او مالا قولا او فعلا من غرض وحظ هو عند الباذل أوفى بما بذله وتحصيله عنده أحب اليه من ذلك المبذول ، فكما ان الشخص لا يلقى ماله في البحر إذ لا غرض له فيه كذلك لا يضع ماله فى يد انسان ولا غرض له فيه وذلك الغرض إما آجل وهو جزيل الثواب في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم

« ايما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له » ، وإما عاجل في الدنيا وهو إما ترقب المكافأة بإحسان مثله نوعاً او جنساً ، او المنة والترفع ، أو الثناء والصيت والإشتهار بالسخاء والكرم ، أو جذب القلوب الى طاعته ومحبته واستسخارهم ، أو ازالة مذمة البخل وخبثه والنفرة الحاصلة للبخلاء واستقباحهم عنه ، أو ازاحة حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة عن قلبه ، أو ازاحة رقة الجنسية ورحمة النوعية عن قلبه ودفع الألم الحاصل له من الرقة بسبب سوء حال من يحسن اليه ، أو دفع ألم خوف حاضر أو مترقب . والاستقراء يدل على الحصر .

ثم ان بعض هذه الأغراض أقوى من بعض وبعضها أدوم وأشد بياناً من بعض ، فالاحسان بالوارد الأخروى قليل الثبوت والاستمرار الا من وفقه الله تعالى .

وأيضاً فأعمال الخير تتقارض وينوب بعضها عن بعض ، والاعمال البدنية أسهل على النفوس في تحصيل مطلوب الآخرة من الأعمال المالية ، وبتقدير ثبوتها فإنما يثبت جنسها ، وأما انحصارها في مفلوك بعينه فأقل ثبوتا بل لو قيل بعدم ثبوتها فى مفلوك بعينه البتة لم يكن بعيداً ، فلا يفيد المفلوك التعويل عليها .

واما حب المنة والترفع فليس شاملا لعامة الخلق ولا لمعظمهم ، لأن النفوس المستشرفة للمكارم والمعالى تأباه وتنفر عنه ، وانما ذلك غالباً ممن يصدر عنه الإحسان تكرماً وتطبعاً وتكلفاً لا طبعاً ، فهو من فساد جوهر الانسانية .

وقولنا « لا يكون غالباً » لأن الكلام فيمن يصدر منه الاحسان لا في مطلق الانسان ، فلا يجمل بالمفلوك جعله رأس ماله ، لأنه حينئذ يكون قد رضي بأقل الناس عدداً وأفسدهم جوهراً .

وأما حب الثناء والصيت والإشتهار بالسخاء والكرم فذلك يقتضي وضع المكارم في الناس على البدل والنوبة وتعميم العطــاء للنظير والأعلى والأدنى ، ويكتفي من الواحد بالشخص بالمرة والمرتين والثلاثة ، لأن الغرض إقامة الحجة وبسط المعذرة ، فلا يحسن أيضاً بمفلوك التعلق بمحسن هــذا غرضه ، لأنه ماذا عسى أن يحصل من المرة والمرتين ، ولأن العطاء العام قد لا يصادفه ، لأن الاستدلال بالأعم على الأخص ممتنع .

وأما جذب القلوب الى الطاعة والمحبة والإستسخار فهو أيضاً مما لا يوصل مفلوكاً الى غاية ولا الى مطلب يؤبه له ، وقصاراه أن يوصله الى مبادىء الخير ، لان الغرض اقامة الحجة عليه واستعباده ، وذلك يحصــل بأدنى مرتبة يمكن استعباد مثله بها .

وأما ازالة مذمة البخل ووضره ونفرته فلا يختص بإضافة الاحسان على المفاليك ، بل قد يحصل بتنعيم النفس وإظهار بزتها وزينتها وبالبسط على العيال وضيافة النظير او المساوى فى المنزلة .

وأما ازاحة رقة الجنسية فتستدعي حالا غير مرضية تستنزل بها الرحمة زيادة على الفلاكة ، اذ الفلاكة الدائمة تعتاد وتؤلف فيضعف كونها طريقاً للرحمة ، وتلك الحال الزائدة تربو على الإحسان مرارها اضعافاً مضاعفة .

ثم ان رقة الجنسية من أمور الآخرة ، وفيه من البحث ما تقدم ، ولذلك كانت إزالة حب الدنيا عن القلب من أمور الآخرة ، وفيه من البحث ما تقدم .

واذن تقرر ان الناس لا يبذلون منافعهم وأموالهم بغير غرض ، بل لابد لهم من غرض إما عاجل أو آجــل ، والمفلوك تمنعه الفلاكة عن المكافأة على الاحسان بإحسان مثله ، وتمنعه أيضاً من الإخافة ، والامور التي مرجعها الآخرة لا تبقى ويكتفى ببعض اعمال الخير البدنية عنها وغيرها

لايخص مفلوكا بعينه ولا يوصله الى غاية يؤبه لها .

ثم ان ماسوى رقة الجنسية أمور راجعة الى الباذل وحده ، فلا بد في المفلوك من تحريك بواعث الناس بأمر يرجع نفعه اليهم ويكون وصفاً للمفلوك نفسه ويدخل تحت قدرته دائماً ، لتبقى داعية الإنسان متحركة دائما لاتسكن لقــدرة على تحريكها كل وقت ، فبخضوعه وتملقه تظهر سيادتهم وعزهم ويؤمن كبر المفلوك عليهم وتيهه وصلفه باسعافهم بمراده ، وببسط أعـذارهم يأمنون حقده فيعاودون الإحسان اليه وان سلقوه اساءة وأذى ، لأن الاساءة طبيعية للبشر للقوة الغضبية ، ولما ان في القلب ميـلا للاخلاق السبعية ، ولأن في النفوس محاكاة في الشر ، ولأن دخول الشر تحت القدرة اكثر من دخول الخير كالصداقة والعــداوة والبناء والهدم ، والمفلوك مظنة للاساءة اليه لوجود المقتضى وانتفاء المانع ، فلا بد أن تعمل الطبيعة فيه عملها ، ولا دواء لهذا الداء الا بسط الاعذار . قال ابو الحوائر الواسطي :

دع الناس طراً واصرف الود عنهم اذا كنت في أخلاقهم لاتسامح
فشيئان معدومان في الأرض درهم حلال وخلّ في الحقيقــة ناصح

وقال بشار بن برد :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأىّ الناس تصفو مشاربه

وبالمبالغة في الاعتــذار اليهم يتجاوز عن تقصيره وقصوره وعجزه اللوازم للفلاكة ، لان للاغنياء شوافع من غناهم عن ذنوبهم قد تغنيهم عن الاعتذار بخلاف المفاليك ، وباظهار حبهم ومناصحتهم يجدون فيــه روحاً ونفعاً راجعاً اليهم ، فيكون إسعافهم له بمراده من لوازم سيادتهم راجع بالأخرة اليهم .

ولكون هذه الأمور اكثر افضاءاً بالمفاليك الى مقاصدهم تجد الأسافل

ترتفع على الأعالى كثيراً ، لأن نفوس الادنياء لاتأنف من الخضوع والتملق بخلاف الأعالي ، وقلما تخلو دولة من ذلك .

والسبب فيه ان الدولة إذا انقرضت وجاءت دولة اخرى فأصحاب الدولة الأولى يكونون في نهاية سعادتهم ، ففيهم شمم وأنفة ومطالبة لصاحب الدولة الجديدة بحقوق لم يعطوه عليها ثمناً بل هي مما أوجبها خدمتهم فى الدولة الاولى ، والوقت سيف والحكم للوقت ، ولصاحب الدولة الجديدة نصحاء ومتملقون وان سفلت بهم المرتبة ، وسياسة الملك تقتضي تقديم من في تقديمه نظامه وابهته ، لاجرم ترتفع الأسافل على الاعالى كثيراً .

اللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ، ياخالق الأسباب والمسببات والدواعي والبواعث والعزمات لاتجعل الدنيا اكبرهمنا ولا مبلغ علمنا ، وأشهدنا عظيم رحمتك حتى لانرجو أحداً سواك ، وتجل علينا ببالغ قدرتك حتى لانخاف احداً غيرك .

اللهم انك تعلم ان الخضوع لغيرك والتملق لسواك فوق صبري وقاطع لظهري لا يبلغه وسعي ويضيق عنه ذرعى ، فاغننى بك عما سواك يارب العالمين . آمين آمين .

الفصل العاشر

(فى تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل)

وأقدم قبل الشروع في ذلك مقدمة :

قال القاضي عياض في أخريات الشفاء ماملخصه : ان من استشهد بأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او على التشبه بهم عند هضمة نالته أو غضاضة لحقته ليس

على طريق التأسي والتحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو الهزل أوإعلاء في وصف ، كقول القائل « ان كذبت فقد كذب الانبياء » أو « صبرت فقد صبر أولو العزم » وكقول القائل :

فرّ من الخلد فاستجار بنا فصبر الله قلب رضوان

فحقه ان دريء عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومألوف عادته وقرينة كلامه أو خلاف ذلك ، لأن كلامه وإن لم يتضمن سباً ولا غضاً فما وقر النبوة ولا اعطاها حقها .

وقال ايضا في ايراده حكاية ماملخصه : ان حكاية الأقوال الغير السديدة تدور بين الوجوب والإستحباب والمنع ، فقد اجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم ، وحكى الله مقالات المفترين في كتابه على وجه الإنكار والوعيد عليها ، وكذلك الحكاية على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير عنه والتجريح له ، فهذا دائر بين الوجوب والندب . وأما حكاية سبه صلى الله عليه وسلم والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار ومضاحك المجان ونوادر السخفاء فكل ذلك ممنوع وبعضه أشد في المنع ، فما كان عن غير قصد او غير عادة يكن من البشاعة حيث هو ولم يظهر استحسانه زجر ونهى عن العود اليه وان قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له ، وان اتهم انه اختلقه أوكانت تلك عادة له او أظهر استحسانه لذلك أو كان مولعاً بالتحفظ لمثله قتل

ثم قال : وقد اسقطوا من أحاديث المغازي والسير ماهذا سبيله ، وتركوا روايته إلا أشياء يسيرة ذكروها غير مستبشعة ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفترى عليه بذنبه ـ انتهى ملخصا .

فخرج من كلامه إن ذكر الأحوال المدخولة حكاية كان أواستشهاداً

والإنكار والتعريف والرد وتبيين مالله في ذلك الفعل من الحكمة في الحكاية

وإنما قـدمت هذه المقدمة لأنا سنذكر تراجم العلماء الذين زوى الله عنهم الدنيا فى مساق الفـلاكة ، فقد يقول من شمّ طرفاً من الفقـه : إن ذكر العلماء في سياق الفلاكة غض من قدر العلم وتهاون بحرمته . والجواب عن هذا التوهم : أما أولا فما قاله القاضى على ماقررناه في كلامه ، على ان ماقاله القاضى عياض رحمه الله من التفصيل إنما هو في الله تعالى وملائكته وأنبيائه . وأما ثانياً فلا نسلم مجيء مثل هذا التفصيل في الحكاية عن العلماء ولوسلم فلا نسلم مجيئه في التراجم ، لأن أوصاف الكمال وأوصاف غير الكمال كل واحد منهما يشعر وصفه ونسبته الى الشخص بانتقال لآخر عنـه ورفعه ، فلو اقتصر في التراجم على احدهما لكان تلبيساً وتدليساً واغراءاً وحملا على الجهل ، وهذا ان لم يعين أو يرجح ذكر الترجمة بطرفيها فلا أقل من ان يقتضي عدم المنع من ذكرها بطرفيها .

وقد يقال : لاحاجة بنا الى هذا البحث ، لأن لفظ الفلاكة والمفلوك مجتنب في هذا الفصل إلا نادراً ، وانما نذكر فيه تراجم العلماء ناقلين لها من المصنفات المعتمدة من غير إطلاق لفلاكة أو مفلوك على احد ، والعهدة في المنقول على المؤرخين ، والعــذر في اتباعهم فى نقله انه لم يزل العلماء والمؤرخون يذكرون ذلك املاءاً وتصنيفاً شائعاً ذائعاً من غير نكير ، فكان اجماعاً من السلف على جوازه . وقد تقدم كلام القاضى في جواز الحكاية على جهـة التعريف او التنفير ، وتقدم ايضا ماقلناه على سبيـل البحث من أن فى ذكره أمناً من التدليس والتجهيل .

وأما الإعتذار عن ايراد الفلاكة والمفلوك على الندور فهو أنا نقول: الفلاكة وإن اشعرت بتنقيص إلا أنا نذكرها في هـذا الفصل معراة عن معنى التنقيص ، والكلمات كثيراً ماتكون حاملة لمعنيين فتعرى من احدهما

مجازاً ، وهذا في الكشاف فى مواضع : « فمنه » ماذكر فى سورة الاعراف ان واو الحال هي واو العطف استعيرت لمجرد الوصل . وعلى الجملة فاستعمال الكل فى الجزء مجاز شائع .

او نقول : المراد بالفلاكة المذكورة في هذا الفصل وقوع ماالأولى خلافه . واللغة اصطلاحية على قول ، والألفاظ التي يدور عليها معنى في تصنيف كالخبن والطى في العروض اصطلاحية اتفاقاً ، فقد سقط بهــذا التقرير اعتراض من يدلع لسانه كالكلب مجادلا بغير عـلم ولا هدى ولا كتاب منير .

اللهم عياذاً بك ممن قصر في العلم والدين باعه وطال فى الجهل وأذى عبادك ذراعه ، فقد اتخذ بطر الحق وغمص الناس سلما الى مايحبه ويرضاه ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر إلا مايشتهيه ويأباه ، ولياذاً بك ممن جعل الملامة بضاعته والعذل نصيحته ، يجعل عداوته وأذاه حذاراً واشفاقاً وتنفيره وتخذيله اسعافاً وإرفاقاً ، متى برز على الجهال بأصغريه ظن أنه قد زاحم العلماء بركبتيه .

إذا تقرر ذلك فاعلم ان الفلاكة على ضربين :

(أحدهما) فلاكة مالية ، ونعنى بها كون الشخص غير محظوظ في أمور الدنيا الماليـة على ماقررناه في الفصل الاول ، أو وقوع ما الأولى خلافه في الأمور المالية على ماقررناه في هذا الفصل .

(والثاني) فلاكة معنوية ، ونعني بها الأوصاف المخالفة لمحاسن الطبيعة أولمحاسن الشريعة من الأفعال المحرمة أوالأفعال المكروهة والأخلاق القبيحة المذمومة .

وإذا عرفت انقسام الفلاكة الى هذين القسمين مالية ومعنوية اتضح لك مناسبة التراجم الآتية في هذا الفصل لمقصود الفصل ، وهذا حين الشروع

وانا ننقل فيها الفاظ المترجمين بحروفها من غير تصرف فيها لتكون العهدة عليهم في ذلك . والله المستعان .

(القاضي عبد الوهاب)

ابن علي بن نصر المالكي ، كان بقية الناس ، ولسان اصحاب القياس ونبت به بغداد على عادة البلاد بذوي فضلها وعلى حكم الأيام فى مخبأ فعلها ، فخرج وخلع أهلها وودع ماءها وظلها ، فلما فصل عنها شيعه من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطائفة كثيرة ، فقال لهم : لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين في كل غداة ماعدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن	وحق لها مني سلام مضاعف
فو الله ما فارقتها عن قلى لها	واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأسرها	ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه	وأخلاقه تنأى به وتخالف

ثم توجه الى مصر فحمل لواءها وملأ ارضها وسماءها وتناهت اليه الغرائب وانثالت عليه الرغائب ، فمات في اول ماوصلها من اكلة اشتهاها فأكلها . زعموا انه قال وهو يتقلب ونفسه تتصعد : لا اله الا الله لما عشنا متنا . توفي سنة ٤٢٢ .

(ابن مالك)

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني الملقب جمال الدين ، صاحب التصانيف المبسوطة والمختصرة والنظم والنثر ، شيخ النحاة في عصره والإمام في اللغة ، كان كثير الأشغال والإشتغال ، حتى انه

حفظ في اليوم الذي مات فيه خمسة شواهد . قال شارح التنبه الشيخ ابو جعفر رفيق الأعمى نزيل حلب فى ترجمته اول الشرح : خرج من الدنيا ولم يتعلق بأعراضها ولا قرطس سهمه في أغراضها . قلت : لقد أحسن الشيخ ابو جعفر رحمه الله العبارة عن الفلاكة ، فان قوله « خرج من الدنيا » الى آخره هو والفلاكة عبارتان عن معنى واحد . توفي رحمه الله سنة ٦٧٢ .

(النضر بن شميل)

الشاعر التميمي المازني النحوي البصري ، عالم بفنون من العلم ، صاحب غريب الحديث والشعر ، وهو من اصحاب الخليل . خرج النضر يريد خراسان لما ضاقت عليه البصرة بالمعيشة ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل مافيهم إلا محدث أو لغوي أو عروضي اواخبارى ، فقال : يا أهل البصرة يعز علي فراقكم ولو وجدت كيلجة باقلى مافارقتكم ، فلم يكن فيهم احد يتكلف ذلك . ودخل على المأمون في ثوب مرقوع فقال له : يانضر ماهذا التقشف ؟ فقال : شيخ ضعيف وحر شديد فأتبرد بهذه الخلقان . قال : لاولكنك قشف . ثم تجاذبا الأحاديث الى ان ادى بهما الحديث الى السداد بمعنى البلغة وسد الثلمة ، فأورده المأمون بفتح السين فرده النضر عليه وبين له ان المفتوح إنما هو القصد لا البلغة ، فأمر له عند انصرافه بخمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل ، فصرفها له ثمانين الف درهم عند وقوفه على سبب الصرف . وتوفي بمرو سنة ٢٠٤

(الاخفش الصغير)

هو علي بن سليمان النحوي ، كان اماماً في اللغة والأدب ، وهو

غير الأخفش الكبير لأنه أبو الخطاب عبد الحميد ، والأخفش الأوسط لانه سعيد بن مسعدة أبو سعيد . كان الأخفش الصغير يلازم المقام عند أبي علي بن مقلة وأبو علي يراعيه ويبره ، فشكا اليه في بعض الأيام ماهو فيه من شدة الفاقة وزيادة الإضاقة ، وسأله أن يعلم الوزير أبا الحسن علي بن عيسى ويسأله له اقرار رزق من جملة من يرتزق من امثاله ، ففعل فانتهره الوزير انتهاراً شديداً ، وكان ذلك في مجلس حافل فشق على ابن مقلة ذلك ، ثم وقف الأخفش على صورة الحال فاغتم لها وانتهت به الحال الى أن أكل السلجم النيء ، فقيل انه قبض على فؤاده فمات منه فجأة سنة ٣١٥

(التلعفري)

محمد بن يوسف بن مسعود الأديب البارع شهاب الدين أبو عبد الله التلعفري الشاعر المشهور ، اشتهر ذكره وشاع شعره ، وكان خليعاً معاشراً وامتحن بالقمار وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئاً يقامر به فطرده الى حلب فمدح بها صاحبها العزيز فأحسن اليه وقرر له رسوماً ، فسلك معه مسلك الأشرف فنادى في حلب أن من قامر مع الشهاب قطعنا يده ، فامتنع الناس من اللعب معه فضاقت عليه الأرض وترك الخدمة وجاء الى دمشق ولم يزل يستجدي بها ويقامر حتى بقي في أتون (١) من الفقر ، ثم نادم في الآخر صاحب حماه وبها مات سنة خمس وسبعين وستمائة .

(الترمذي)

محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الشافعي ، لم يكن للشافعية

(١) الأتون بفتح الهمزة وتشديد التاء المضمومة وقد تخفف : اخدود الخباز والجصاص ونحوهما .

فى وقته أرأس منه ولا اورع ، وكان من التقلل على حال عظيم ، أخبر انه تقوت في سبعة عشر يوماً بخمس حبات أو قال ثلاث حبات ، قيل له كيف عملت ؟ قال : لم يكن عنـدي غيرها فاشتريت بها لفتاً ، فكنت آكل منه كل يوم واحدة . توفى سنة خمس وتسعين ومائتين وقد اختلط في آخر عمره .

(يحي بن علي)

ابن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريا الخطيب التبريزي الشيباني امام اللغة والنحو ، تخرج عليه خلق كثير ، شرح الحماسة والمتنبي والمعلقات وغير ذلك . وكانت حصلت له نسخة من التهذيب في اللغة للازهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق مافيها وأخذها عن عالم باللغة ، فدل على أبي العلاء المعرّي فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرة ولم يكن له مايستأجر به مركوباً ، فنفذ العرق من ظهره اليها فأثر فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغـداد ، وإذا رآها من لايعرف صورة الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب . ومن شعره :

فمن يسأم من الأسفار يوماً … فاني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال … لئام ينتمون الى لئام

توفي فجأة فى جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة .

(الابيوردي)

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الابيوردي ، اشتغل في الفقه على أبي حامد وبرع فيـه . قال الخطيب فى تاريخه : كان شاعراً فصيحاً حسن الإعتقاد متجملا في فاقة ، يقال : انه مكث سنتين لايقدر على جبة يلبسها

في الشتاء ويقول لأصحابه : بي علة تمنعني لبس المحشو . توفي فى جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة . قلت : ما احسن قوله « بي علة تمنعني لبس المحشو » فانه من الإيهام والتورية ، والعلة هى علة الفلاكة شفانا الله منها

(الشنتريني)

عبد الله بن صارة أو سارة الشاعر المشهور ، كان شاعراً ناثرا ناظماً ماهراً إلا انه كان قليل الحظ ، ومن الحرمان لم يسعه مكان ولا اشتمل على سلطان ، كان يبيع المحتقرات وبعد جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة ، فلما كان من خلع الملوك ما كان أتى الى اشبيلية أسود حالاً من الليل وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلغ من الوراقة فانتحلها في كساد سوقها وخلو طريقها ، وفيها يقول :

أما الوراقة فهى أنكر حرفة   أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة ابرة   تكسو العراة وجسمها عريان

توفي سنة ٥١٧ .

(العز)

حسين بن محمد الشاعر الضرير الاربلى ، تلميذ أفضل الدين الخلنجى ، كان الشاعر المذكور بصيراً بالعربية رأساً فى العقليات كلها إلا انه كان فيلسوفاً رافضياً تاركاً للصلاة رث الهيئة زرى الشكل قبيح المنظر ، يصدر منه ما يشعر بفساد العقيدة والإنحلال ، وابتلى مع العمى بطلوعات وقروح ، وكان قذراً لا يتوقى النجاسات ، يهين الأكابر إذا حضر مجلسهم ولا يعتني بهم ، ومع ذلك كان له هيبة وحرمة . توفي سنة ٦٦٠

(يحيى او محمد او عمر)

ابن حبش الملقب شهاب الدين السهروردي أبو الفتوح المعروف بالشهاب المقتول ، كان أوحد زمانه في الفلسفة والحكمة مفرط الذكاء حسن العبارة ، وله تصانيف منها : الهياكل ، والتلويحات ، والرقم القدسي فى تفسير القرآن على رأى الأوائل ، واللمحات في المنطق . ورد الى حلب واجتمع بالملك الظاهر غازي فأعجبه كلامه فمال اليه ، فكتب أهل حلب الى السلطان صلاح الدين أدرك ولدك وإلا تلف ، فكتب السلطان الى الظاهر بابعاده عنه ، ثم كتب اليه بقتله . كان دنىء الهمة زري الخلقة دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوباً ولا جسما ولا يداً من زهومة ولا يقص ظفراً ولا شعراً ، وكان القمل يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه . توفى سنة ست وثمانين وخمسمائة .

(الحافظ عبد الغني)

ابن عبد الواحد أبو محمد المقدسي ، أنزله الشيخ عبد القادر هو ورفيقه الشيخ موفق الدين بمدرسته وما كان يمكن احداً من النزول فيها لما تفرس فيهما من الخير والصلاح ، كان امام وقته في الحديث رواية ودراية ، وصنف الكتب الحسان منها نهاية المراد في كلام خير العباد نحواً من مئتى جزء . ومحنه كثيرة :

(منها) انه لما دخل أصفهان وقف على كتاب أبي نعيم الحافظ فى معرفة الصحابة ، فأخذ عليه فى مائة وتسعين موضعاً ، فطلبوه من الخجندى ليقتلوه فاختفى وخرج من أصفهان في أزار .

(ومنها) انه لما عاد الى أصفهان دخل الموصل فقرأ كتاب

الجرح والتعديل للعقيلي وذكر فيه أبا حنيفة وجرحه ، فثار عليه أصحاب أبي حنيفة وحبسوه ، ولولا البرهان بن البرقي الواعظ خلصه لقتلوه .

(ومنها) لما قدم دمشق من الموصل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس اليه وحصل له قبول ، فكان سريع الدمعة ، فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناصح الحنبلي فحسنوا له أن يعظ بعد الصلاة تحت النسر ، فشوش على الحافظ فصار الحافظ يقعد بعد العصر ، فذكر عقيدته على الكرسي فاتفق محيي الدين بن زكى الدين والخطيب الدولعي وجماعة من الدماشقة وصعدوا الى القلعة وواليها صارم الدين برغش فقالوا : هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه ، فعقدوا له مجلساً وأحضروه وناظرهم فأخذوا عليه مواضع وارتفعت الأصوات ، فقال صارم الدين : كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق ؟ قال : نعم . فأمر الأسارى فنزلوا الى جامع دمشق فكسروا منبر الحافظ وما كان في حلقة الحنابلة من الدرابزينات ومنعوهم من الصلاة ففاتتهم صلاة الظهر ، ثم سافر الحافظ الى مصر ونزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث ، وكان الملك العزيز في الصيد فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه وبعثوا بالفتوى الى العزيز ، فقال : اذا رجعنا أخرجناه ، فاتفق انه وقع عن فرسه واشتغل بنفسه ومات ، وجاء الأفضل الى مصر ولما دخل العادل مصر ومعه وزيره ابن شكر نقل اليه ما نقل الى العزيز ، فعرف بزهده وفضله فأكرمه عند الدخول اليه وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث ، فكتب أهل مصر الى ابن شكر يقولون : قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس الاشهاد ، فكتب الى والى مصر بنفيه الى المغرب ، فحدث الشيخ تاج الدين الكندي ان الوزير طلبه ليكتب بنفيه وكان الحافظ قد توفى ، فقال للكاتب : اكتب بنفيه الى المغرب ولم يكن علم بموته : فقلت :

ما تحتاجون تنفونه هو قد نفاكم . فقال ابن شكر : وكيف ؟ قلت : الساعة أخبرني شخص بموته . فوجم ابن شكر ساعة كأنه ندم . وكانت وفاته في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة .

(محمد بن عبد الرزاق)

ابن رزق بن أبي بكر العدل العالم شمس الدين بن محمد المحدث الرسعني الحنبلي ، كان من أعيان الشهود تحت الساعات ، ومن شعره :

ولو أن انساناً يبلغ لوعتي ووجدي وأشجاني الى ذلك الرشا
لأسكنته عيني ولم أرضها له ولولا لهيب القلب أسكنته الحشا

سافر الى مصر في شهادة ثم عاد على حمار فسرق حماره وما عليه في الطريق ، فرجع الى القاهرة شاكياً فلم يحصل له مقصود ، فخرج متوجهاً الى دمشق فأتى ليسقي فرسه بالشريعة فغرق ولم يظهر له خبر . توفى سنة ٦٨٩ .

(الخليل)

ابن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي ، كان اماماً في علم النحو ، وهو الذي استنبط العروض وعنه أخذ سيبويه وغيره . كان متقللاً من الدنيا صبوراً على العيش الخشن الضيق ، وكان يقول لا يجاوز همي ماوراء بابي ، كان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، وكان والى فارس والأهواز ، فكتب اليه يستدعيه فكتب الخليل جوابه :

ابلغ سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخا بنفسي انى لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيــه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب ، فأنشد بيتين في ذلك فأعاد راتبه . قال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الأموال ، كان اذا قدم عليه سيبويه يقول : مرحباً بزائر لا يملّ . توفى سنة ١٧٠ .

(أبو الطيب الطبري)

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبرى شيخ الشافعية ، أخذ عن أبي حامد الإسفرايني وأبي الحسن الماسرجسي ، وصنف في الأصول والجدل وغير ذلك . كان له ولأخيه عمامة وقميص إذا لبسهما هذا جلس الآخر فى البيت ، وقد قال في ذلك القاضي أبو الطيب :

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل

بلغ مائة وستين سنة صحيح العقل والفهم والأعضاء يفتي ويقضي ويشتغل توفى سنة ٤٥٠

(أبو عثمان)

ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، أخذ عنه مالك بن أنس رضى الله عنه . قال بكر بن عبد الله الصنعانى : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي فكنا نستزيده في حديث ربيعة فقال لنا ذات يوم: ماتصنعون بربيعة ها هو نائم في ذلك الطاق . فأتينا ربيعـة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال : نعم . قلنا : أنت الذى يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال: نعم . فقلنا : كيف حظي مالك بك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمتم

أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم . توفى سنة ١٣٦ .

(المازنى)

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازنى البصري ، كان إمام عصره في النحو والأدب ، وكان في غاية الورع ، ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمـة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار في تدريسه ، فامتنع ابو عثمان من ذلك ، فقال له المبرد : أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة اضاقتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا كـذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن ذمياً منها غيرة على كتاب الله تعالى ، فاتفق أن غنت جارية بحضور الواثق بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا

واختلف من بالحضرة في رفع رجل ونصبه ، فأشخصه الواثق لإعراب البيت ، فلما أعربه أمر له بألف دينار . توفي سنة ٦٤٩ .

وموضع الاستشهاد قول المبرد « أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة اضاقتك » . ولا يقال كان زاهداً بدليل قول المترجمين له « انه كان شديد الورع » لأن الورع لا يستلزم الزهـد بدليل قبوله الالف الموهوب له ، لأن الفاقة الدائمة يلزمها حوائج مجتمعة ومصارف مؤخرة لا تفي بها الألف ولا ما فوقها ، والدنانير انما هي دنانير بغداد وهي دراهم في الحقيقة .

(السيرافي)

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي ، شرح كتاب سيبويه وصنف عدة تصانيف ، كان نزهاً عفيفاً حسن الأخلاق ، وكان معتزلياً ولم يظهر منـــه شيء ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده

ينسخ ويأكل . توفى سنة ٣٦٨ .

(نجم الدين)

ابن أخي قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، كان فقيهاً فاضلا وولى القضاء ببعض البلاد الشامية ، وكان مهوساً بالحكمة ويقول عن نفسه : أنا حكيم الزمان ، فانقطع رزقه بهذا السبب ومقت ونسبوه الى انحلال العقيدة ، فسافر الى الديار المصرية وقعد مع الشهود حتى مات سنة ٧٦٢ .

(الأنماطي)

إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الحافظ البارع تقي الدين أبوالطاهر ابن الأنماطي المصرى الشافعي ، كان إماماً ثقة حافظاً مبرزاً فصيحاً واسع الرواية ناظماً ناثراً بعيد الشبيه معدوم النظير إلا انه كان كثير الدعابة مع المرد . مات سنة ٦١٩ .

(بدر الدين بن مالك)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، كان نحوياً عارفاً بعلم البيان والعروض والأصول والمنطق ذكياً إلا انه ينسب الى لعب ومعاشرة من لا تليق معاشرته . توفى سنة ٦٨٦ .

(العفيف التلمساني)

سليمان بن علي بن عبد الله الأديب البارع ، كان حسن العشرة كريم الأخلاق ذاوجاهة وخدم في عدة جهات من المكس ، كان يتهم بالخمر

والفسق والقيادة كما قاله في الجزء السابع من دول الاسلام مختصر تاريخ الاسلام لعلى بن خلف بن كامل الغزي الشافعي . قال الشيخ قطب الدين : رأيت جماعة ينسبونه الى رقة الدين والميل الى مذهب النصيرية ، وحكى تلميذه البرهان بن الفاشوشة قال : رأيت ابنه في مكان بين ركبدارية وذا يكبس رجليه وذا يبوسه ، فتألمت لذلك وانقبضت ودخلت الى الشيخ وأنا كذلك فقال : مالك ؟ فأخبرته بالحال الذي وجدت عليه ابنه محمداً ، فقال : أفرأيته في تلك الحالة منقبضاً حزيناً . فقلت : سبحان الله كيف يكون ذلك بل كان أسر ما يكون ، فهوّن الشيخ علي وقال : لا تحزن أنت اذا كان هو مسروراً ، فعرفت قدر الشيخ وسعيه . قال الذهبي : هذا هو الشيخ الذي لا يستحي الله من عذابه . توفى سنة ٦٩٠ .

(الحريرى)

علي بن أبي الحسن بن منصور أبو الحسن وأبو محمد مقدم الطائفة الحريرية صاحب الزاوية ، كان له مكاشفات وكرامات ، وكان عنده من القيام بواجب الشريعة ـ كما قاله الشيخ شهاب الدين أبو شامة ـ ما لم يقم به أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً ، ومن اقامة شرائع الحقيقة ما لم يكن عند احد في عصره من المحافظة على محبة الله وذكره والدعاء اليه والمعرفة به ، واكثر الناس يغلطون في أمره الظاهر وفي أمره الباطن . صحب الشيخ أبا علي المغربل خادم الشيخ رسلان ، كان يلبس الطويل والقصير والمدور والمفرح والأبيض والأسود والعمامة والمئزر والقلنسوة وثوب المرأة والمطرز والملون ، ولما حبس سأله أصحابه ان يسأل ويتشفع فلم يفعل ، فلما أقام في الحبس أربع سنين زاد سؤالهم فأمرهم ان يكتبوا قصة فيها : من الخلق الضعيف الى الرأي الشريف ممن هو ذنب كله الى من هو عفو كله ،

سبب هذه المكاتبة الضعف عن المعاتبة « اصغر خدم الفقراء علي الحريرى »

فقير ولكن من صلاح ومن تقى   وشيخ ولكن في الفسوق امام

فسعوا في القصة وأرادوا أن تصل الى السلطان ، فما قرأ أحد من الدولة القصة إلا ورمى بها ، فبلغه ذلك فاحتدّ وقال : ماقلت لكم ألم أنهكم عن السعي . وأقام بالحبس ست سنين وسبعة اشهر ، كان يعاشر الأحداث ويصحبهم ويقيمون عنده ، ولم يكن عنده مراقبة ولا مبالاة بل يدخل مع الصبيان الأحداث ويعتمد معهم مايسمونه تخريباً ، وكان له قبول عظيم لاسيما عند الأحداث ، فانه كان إذا وقع نظره على احد من الأحداث مال اليه بحيث لاينتفع اهله به . توفي سنة ٦٤٥.

(القطب الشيرازي)

قطب الـدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي ، كان إمام عصره في المعقولات وفي غايـة الذكاء ، وله التلاميذ الكثيرة والتصانيف المشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب ، كان كريما متطوحاً إلا انه كان متهاوناً بالدين محباً للخمر ويجلس في حلق المساخر كما قاله الأسنوى فى طبقاته ، ومع ذلك كان معظما عند ملوك التتار فمن دونهم ، وهو تلميذ النصير الطوسي . توفي سنة ٧١٠.

(ابن دريد)

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهيـة الأزدى اللغوى البصرى إمام عصره فى اللغة والادب والشعر الفائق ، كان يشرب الخمر إلى ان جاوز تسعين سنة . قال ابن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب مصفى موضوعاً . توفى سنة ٣٢١ .

(يحيى بن اكثم)

ابن محمد التميمي المروزي أحد اعلام الدنيا ، روى عنه الإمام احمد ابن حنبل وغيره ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعاً ، وكانت كتب يحيى فى الفقه أجل كتب وتركها الناس لطولها ، وكان له كتب في الأصول ايضا ، وكان من ادهى الناس واخبرهم بالأمور كان اذا رأى فقيها سأله عن الحديث او محدثاً سأله عن النحو أو نحوياً سأله عن الكلام فيخجله ويقطعه . كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن اكثم وكان غلاماً متناهي الجمال ، فقرص القاضي خده فخجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده ، فقال له : خذ القلم واكتب فأملاه :

أيا قمراً خمشته فتغضبا	وأصبح لي من تيهه متجنبا
إذا كنت للتخميش والعض كارهاً	فكن ابداً ياسيدي متنقبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة	وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مسكيناً وتفتن ناسكاً	وتترك قاضي المسلمين معذبا

ولما تواتر النقل عن يحيى الى المأمون في هذا المعنى أراد امتحانه ، فأغرى به مملوكاً في غاية الجمال وذهب الى الخلاء ثم تجسس عليه فسمعه يقول له : لولا انتم لكنا مؤمنين ، فدخل المأمون وهو ينشد بيتي ابن حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب :

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهراً	فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها	وقاضي قضاة المسلمين يلوط

ذكر ذلك كله ابن خلكان في تاريخه ، وذكره الحصري في كتابه الذي سماه زهر الآداب وتحامل عليه في هذا المعنى بمالا يليق ذكره وذكر ولوع

الشعراء به ، ومما انشده فيه قول الشاعر :

ياليت يحيي لم تلده اكتمه   ولا وطت ارض العراق قدمه
ألوط قاضي في الأنام نعلمه   اى دواة لم يلقهـا قدمـه
وأي جحر لم يلجه ارقمه

توفي سنة ٢٤٢ .

(محمد بن علي)

ابن يوسف بن هود الشيخ الزاهد الكبير بدر الدين ابو علي بن هود المرسي ، احد الأجلاء فى التصوف ، ترك الحشمة وتغرب وصحب ابن سبعين واشتغل بالفلسفة والطب وترهات الإتحادية وزهديات التصوف وخلط هذا بهذا . كان ذاهيبة وسكون وتلامـذة ، على رأسه قبعة وعلى جسده دلق ، وكان غارقاً فى الفكرة قليل الصلاة والـذكر متواصل الأحزان ، حمل مرة الى والى البلد وهو سكران أخذوه من حارة اليهود ، وكان له مشاركات في علوم شتى . توفي سنة ٦٩٩ بدمشق .

(القاضي الرفيع)

عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل قاضي قضاة دمشق رفيـع الدين ابو حامد الشافعي ، كان فقيهاً فاضلا متكلما مناظراً متفلسفاً ردىء العقيدة مغتراً ، ثم ولى قضاء دمشق في ايام صاحبها الملك الصالح اسماعيل ووزيره أمـين الدولة السامري ، فاتفق هو وأمـين الدولة فى الباطن على المسلمين ، فكانت عنـده شهود زور ومدعون زوراً تدعي وتشهد على شخص بألف دينار فيأمره بالصلح . قال ابو المظفر ابن الجوزى : حدثني جماعة من الأعيان انه كان فاسد العقيـدة دهرياً مستهزئاً بأمور الشريعة ،

يجيء الى صلاة الجمعة سكران، وإن داره كانت مثل الحانة ، ثم أوقعت الدنيا بينـــه وبين الوزير فغدره السامري وسعى به عنـد السلطان فاعتقل ببعلبـك واستأصل ماله ، ثم نقل الى جبـل لبنان وخنق هناك أودفع من شاهق فوقع فمات سنة ٦٤٣ .

(البدر التستري)

بدر الدين محمد بن أسعد التسترى ، إمام وقته في الأصلين والمنطق والحكمة ، وضع تعاليق البيضاوى والطوالع والمطالع متضمنة لنكت غريبـة وان كانت عباراتها قلقة ركيكة، وشرح كتب ابن سيناء ، كان مداوماً على لعب الشطرنج رافضياً كثير الترك للصلاة . قال الأسنوي : ولهذا لم يكن عليه أنوار أهل العلم ولا حسن هيئتهم مع ثروته الزائدة وحسن شكله توفى بهمذان في نيف وثلاثين وسبعمائة .

(أبو عبيدة)

اللغـوي النحوي معمر بن المثنى ، لم يكن فى الأرض خارجي ولا إجماعي أعـلم بجميع العلوم منه ، وكان الغريب يغلب عليه وأخبار العرب وأيامها ، وكان يكسر الشعر ولا يقيم وزنه ، وإذا قرأ أو حـدث لحن اعتماداً منـــه ، وكان وسخاً ألثغ مدخول النسب هجاء يميـل الى مذهب الخوارج لاتقبل له شهادة عند احد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل الى الغلمان . قال الاصمعي : دخلت انا وأبو عبيـــدة يوماً المسجد فاذا على الأسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة :

صلى الاله على لوط وشيعته　　　ابا عبيدة قل بالله آميناً

فقال لي : يا اصمعى امح هذا ، فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته

فقال : أثقلتني وقطعت ظهري . فقلت : لقد بقيت الطاء فقال : هي شر حروف البيت . وكان الكاتب لها ابا نؤاس وبعد البيت :

فأنت عندي بلا شك بقيتهم منذ احتلمت وقدجاوزت تسعينا

توفي سنة ٢٠٩ .

(ابن هانيء)

أبو الحسن محمد بن هانىء الازدي الاندلسي الشاعر المشهور ، كان متهماً بمــذهب الفلاسفة مشتهراً بحب الخمر . أضافه شخص ببرقة فأقام عنده في مجلس الانس أياماً فيقال انهم عربدوا عليه فقتلوه سنة ٣٦٢ .

(صاعد)

الربعي اللغوى البغدادي أبو العلاء صاحب كتاب الفصوص ، كان محسناً فى السؤال حاذقاً فى استخراج الاموال ، غير انه كان يتهم بالكذب في نقله فلهــذا رفض الناس كتابه ، ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص في النهر ، فقال فيه بعض شعراء عصره :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكــذا كل ثقيــل يغوص

فلما سمعه صاعد أنشد :

عاد الى عنصره انمــا تخرج من قعر البحور الفصوص

توفي سنة ٤١٧ بصقلية .

(ابن النحاس)

بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد الامام العلامة ، كان من أذكياء بنى آدم وله خبرة بالمنطق واقليدس ، مشهور بالدين والصدق مع إطراء

التكلف والتجمل وصغر العمامة فيه ظرف النحاة وانبساطهم ، وكان يتحدث في تعليمه وخطابه بلغة عامة الحلسيين ولا يتقعر في عبارته وأظنه لم يتزوج توفي سنة ٦١٨ .

(أبو الحسن)

علي بن صاعد الصدفى المنجم المعروف بابن يونس المصري المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس في اربع مجلدات كبار كان ابن يونس المذكور أبله مغفلا يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة ، وكان طويلا واذا ركب ضحك الناس منه لشهرته وسوء حاله ورثاثة لباسه ، وكان له مع هذه الهيئة إصابة بايغة غريبة في النجامة لايشاركه فيها غيره ، وكان أحد الشهود ومتفنناً في علوم كثيرة . دخل مرة على الحاكم العبيدي صاحب مصر ومداسه في يده فقبل الأرض وجلس والمداس الى جانبه والحاكم يراها وهو بالقرب منه ، ولما انصرف قبل الأرض ولبسها وانصرف . توفى سنة ٣٩٩ .

(التاج المراكشي)

تاج الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي ، حصل علوماً عديدة اكثرها بالسماع لأنه كان ضعيف البصر مقارباً للعمى ، كان ذكياً عجولا محتقراً للناس كثير الوقيعة فيهم ، ولهذا عمل عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني حتى أخرجه من مصر الى دمشق مرسما عليه : توفي فجأة سنة ٧٥٢ .

(العلم الاصفوني)

علم الدين أحمد بن محمد بن عبد العليم المعروف بالأصفوني ، كان

رجلا فاضلا مشاركاً في علوم متعددة مشاركة جيدة ، لكنه كان شرس الأخلاق مائلا الى الحسد لاتدوم له صحبة مع احد لاسيما من يرى إقبال الناس عليه من أهل العلم . توفي سنة ٧٤٩ .

(الفخر الفارسي)

الفيروز ابادى نزيل مصر الشافعي الصوفي المحقق المحدث ، له مصنفات كثيرة منها كتاب مطية النقل وعطية العقل والأصول والكلام وغير ذلك، كان فاضلا بارعاً فصيحاً بليغاً متكلماً ذا معاملات ورياضات ومقامات ، إلا انه كان بذىء اللسان كثير الوقيعة في الناس لمن عرف ومن لم يعرف كثير الجرأة لايفكر فيما يقول ، وعنده دعابة في غالب الوقت — كذا قاله عمر بن الحاجب وابن بعطة فيما نقله عنهما عماد الدين ابن كثير في طبقاته . توفي سنة ٦٢٢ .

(الشيخ خضر الكردي)

شيخ الملك الظاهر ، كاشف السلطان في اشياء كثيرة أصاب فيها ، وكان حظياً عنده وله المكانة الرفيعة لديه ، ينزل السلطان اليه في كل اسبوع مرة او مرتين وبنى له جامعاً ، شهد عليه عند السلطان بالزنا واللواط وشرب الخمر ، وكان السلطان قد قدمت له هدية من صاحب اليمن من جملتها كر نفيس فأعطاه السلطان للشيخ خضر فدفعه لامرأة وزنى بها وأحضروها وأحضروا الكر بين يدى السلطان . توفى سنة ٦٧١

(ابن الخشاب)

أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم

المشهور في الأدب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب ،
له في العلوم اليد الطولى ، كان فيه بذاءة (١) وقلة اكتراث بالمأكل والملبس
زاد الحافظ الذهبي ناقلاً له عن ابن النجار وجمال الدين القفطى انه كان
بخيلا وسخاً قذراً ، تبقى عمامته على رأسه حتى تتقطع مما يلي رأسه من
الوسخ ، ويرمي عليها العصافير ذرقها فيتركه على حاله ، ولم يتزوج قط
ولا تسرى ، وكان يستقى بجرة مكسورة ويلعب بالشطرنج حيثما وجده
ويقف على المشعبذ وأصحاب النرود ، ويستعير الكتاب فلا يعيده متعللا
بضياعه بين كتبه ، وكان مزاحاً - وساق ابن النجار عنه من ذلك حكايات
فنها انه قرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج :

أطرباً وأنت قنسري وانما يأتى الصبا الصبي

فجعله الصبي بالياء فيهما فقال له : هذا عندك في المكتب فاستحى .
ومنها انه سأله بعض تلامذته فقال : القفا يمد أو يقصر ؟ فقال : يمد ثم
يقصر . ومنها انه سأل بعض تلامذته : ما بك ؟ فقال : فؤادي يوجعني .
فقال : لو لم تهمزه ما وجعك . توفى سنة ٥٦٧ .

(ابن برى)

ابو محمد عبد الله ابن أبي الوحش بن برى المقدسى ، الإمام المشهور
في علم النحو واللغة والرواية والدراية . كان علامة عصره وحافظ وقته
ونادرة دهره ، وله على كتاب الصحاح للجوهري حواش فائقة استدرك
فيها عليه مواضع ، كان عارفاً بكتاب سيبويه ، وكانت فيه غفلة ولا يتكلف
في كلامه ولا يتقيد بالإعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق . قال
يوماً لبعض تلاميذه : اشتر لى هندباً بعروقو . فقال له التلميذ : هندبا

(١) البذاءة : سوء الحال . وبذءالهيئة وبذها : رثها .

بعروقه ، فعز عليه كلامه وقال : لا تأخذه إلا بعروقو وان لم يكن بعروقو فلا آكله . ومن غفلته انه كان يدخل الحطب والبيض جميعاً في كمه وعليه الثياب الفاخرة ، وربما جاء الى البيت فلم يجده مفتوحاً فيرمى بالبيض من الطاق الى داخـــل ، ويضع العنب بين الحطب فيتفجر وينقط على رجليه فيقول : مطر والسماء صاحية . وقريب من حكاية رمي البيض مانقل عن أبي علي الشلوبين انه وقع من يده كراس في الماء وبقى معـه آخر فجره به من الماء فتلفا جميعا . توفي سنة ٥٨٢ .

(الباجي)

علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالباجى ، الإمام في الأصلين والمنطق الفاضل فيما عداها من أذكياء الناس ، قريحته لاتكاد تنقطع إلا انه كان قليل المطالعة جداً ولا يكاد أحد يراه ناظراً في كتاب ، وكذلك نقل عن محمـد بن زياد أبي عبـد الله بن الأعرابي صاحب اللغة انه كان يحضر مجلسه زهاء مائة نفس كل يسأله أو يقرأ عليه وهو يجيب من غير كتاب . قال ابو العباس : لزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط . توفى ابن الأعرابى سنة ٢٢١ ، وكان الباجى المذكور يجلس في حوانيت الشهود ، وناب في الحكم بالشارع ثم ترك ذلك كله وأعرض عن التكلف في حاله كله . توفي سنة ٧١٤ .

(الحافظ المزى)

بكسر الميم ابو الحجاج جمال الدين يوسف الحلبى المعروف بالمزي ، انتهت اليه الرحلة من أقطار الأرض ، كـان إماماً في اللغة والتصريف ، صنف تهذيب الـكمال في أسماء الرجال وكتـاب الأطراف ، ودرس بدار

الحديث . كان منقبضاً عن الناس طارحاً للتكلف فقيراً . توفى سنة ٧٤٢ :

(أبو جعفر)

احمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري النحوي ، كان من الفضلاء ، وله التصانيف المفيـدة منها : اعراب القـرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وتفسير أبيات سيبويه بما لم يسبق الى مثـله ، وفسر عشرة دواوين وأملاها ، وله كتاب طبقات الشعراء ، وله شرح الحماسة وله غير ذلك . وكان فيـه خساسة وتقتير على نفسه ، وإذا وهب عمـامة قطعها ثلاث عمائم بخلاً وشحاً ، وكـان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته ، ومع هذا كان للناس رغبة كثيرة في الأخـذ عنه . توفى بمصر سنة ٣٣٨ وكان سبب موته انه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل واخذ يقطع العروض من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار ، فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر . والنحاس نسبة الى الصفر .

(مروان بن ابى حفصة)

الشاعر المشهور المشكور ، كـان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة ، وكان يحصل له من الأموال شيء كثير جداً ، وكان مع ذلك من أبخل الناس لا يكاد يأكل من اللحم من بخله ولا يشعل في بيته سراجاً ولا يلبس من الثياب إلا الكرابيس والفرو الغليظ . خرج يوماً الى المهدي فقالت امرأة من اهله : ان أطلق لك الخليفة شيئاً فاجعل لي منـه شيئاً . فقال : ان اعطاني مائة ألف درهم فلك درهم ، فأعطاه ستين ألف درهم فأعطاها اربعة دوانيق . توفى سنة ١٨٢ .

(محمد بن داود)

ابن علي ابو بكر الفقيه ابن الفقيه الطاهري بن الطاهري . كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً. قال ابن كثير : قال ابن الجوزى في المنتظم: وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف ويعشقه ولم يزل ذلك دأبه فيه مع العفاف حتى كان سبب وفاته . وقيل عنه انه كان يبيح العشق بشرط العفاف ، وحكى هو عن نفسه انه لم يزل يتعشق مذ كان في الكتاب ، وانه صنف كتاب الزهرة في ذلك ، وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح فقال له ابن شريح يوماً : أنت بكتاب الزهرة أمهر منك بهـذا . فقال له : أتعيرنى بكتاب الزهرة وانت لا تحسن تشم قراءته ، وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جداً . توفى سنة ٢٩٧ .

(الحسن بن سفيان)

ابن عامر ابو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان ، والذي كانت تضرب آباط الإبل اليه في معرفة الحديث والفقه . رحل الى الآفاق وتفقه على أبي ثور وأخذ الأدب من اصحاب النضر بن شميل . اتفق له انه كان هو وجماعة من اصحابه بمصر في رحلتهم لطلب الحـديث ، فضاقت عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً ولا يجـدون ما يبيعونه للقوت ، واضطرهم الحـال الى تجشم السؤال وأنفت نفوسهم من ذلك والحاجة تضطرهم ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بهذا الأمر فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان ، فقام عنهم واختلى في زاوية المسجد وصلى ودعا ، فما انصرف من الصلاة حتى دخـل شاب حسن الهيئة فقال : الأمير ابن طولون يعتذر اليكم وهذه مائة دينار لكل واحد منكم . فقلنا : وما الحامل ؟

فقال : انه أحب ان يختلى فجاءه فارس بيده رمح في الهواء وقال : قم فأدرك الحسن واصحابه فانهم في المسجد الفلاني جياعاً . توفى سنة ٣٠٣ .

(بشر بن غياث)

ابو عبد الرحمن المرسي المتكلم ، شيخ المعتزلة واليه تنسب الطائفة المرسية ، راج عند المأمون وحظي عنده . كان لا يحسن النحو وكان يلحن لحناً فاحشاً كما قاله ابن كثير . توفى في ذي الحجة سنة ٢١٨ وصلى عليه عبيد الشوبيرى المحدث فليم في ذلك فقال : ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتى قلت : « اللهم ان عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر اللهم فأذقه عذاب القبر ، وكان ينكر شفاعة نبيك فلا تجعله من اهلها ، وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة فاحجب وجهك الكريم عنه » . وهذا معنى ما قاله بعض السلف من كذب بكرامة لم ينلها ـ قاله ابن كثير .

(واصل بن عطاء المعتزلي)

ابو حذيفة المعروف بالغزال لملازمته الغزالين ، أحد الأئمة البلغاء المتكلمين ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ، ولكونه قبيح اللثغة في الراء كان يخلص كلامه منها ولا يفطن لذلك احد لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ، والى ذلك اشار الشاعر بقوله :

وجعلت وصلى الراء لم تنطق به   وقطعتنى حتى كأنك واصل

كان طويل العنق ، فنظر اليه عمرو بن عبيد فقال من قبل ان يكلمه : لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه النعق . توفي سنة ١٣١ .

(ابو حاتم الرازي)

محمد بن ادريس بن المنذر ابو حاتم الحنظي الرازى ، احد الحفاظ

الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، وهو قرين ابي زرعة الرازي تغمدهما الله برحمته ، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار وروى عن خلق من الكبار ، وحدث عنه الربيع بن سليمان ويونس بن عبد الأعلى وهما اكبر منه . قال لابنه عبد الرحمن : يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث اكثر من ألف فرسخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق منه في بعض الأحيان ، وانه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض اصحابه نصف دينار . توفي سنة ٢٧٧ .

(سيبويه)

ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري الحجة في النحو والعلم فيه إمام النحاة ، شرح النحاة كتابه فانغمروا في لجج بحره واستخرجوا من جواهره حاصله ولم يبلغوا الى قعره . وزعم ثعلب انه لم ينفرد بتصنيفه وقد ساعده جماعة في تصنيفه كانوا نحواً من أربعين نفساً هو احدهم وهو أصول الخليل بن احمد ونكته فادعاه سيبويه لنفسه - هكذا نقله ابن كثير عن ثعلب . ونقله في مرآة الزمان عن ابي عبد الله المرزباني وتعقبه وقال : هذا وهم من المرزباني لاجماعهم على ان سيبويه هو الذي جمع أوزان العرب وحصرها وقرر اصول الكتاب وفصوله ورتب ابوابه . وقال ابن كثير بعد نقله ذلك عن ثعلب : وقد استبعده السيرافي في طبقات النحاة . ولما قدم سيبويه بغداد وناظر الكسائي واصحابه فلم يظهر عليهم سأل عمن يرغب من الملوك فى النحو ؟ فقيل طلحة بن طاهر ، فشخص الى خراسان فلما انتهى الى ساوة مرض مرض الموت فتمثل :

يؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل

حثيثاً يروي أصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

توفي وعمره ثنتان وثلاثون سـنة سنة ١٨٠ . والفسيل والفسيلة : الوديّ ، وهو صغار النخل ، والجمع الفسلان ـ قاله الجوهرى .

(شريك)

ابن عبد الله بن أبي شريك ابو عبد الله القاضي النخعي الكافي ، سمع ابا اسحاق السبيعي وغير واحـد ، أكرهه المنصور على القضاء ، كـان مشكوراً فى حكمه وامضائه اياه على الأكـابر . ذكر الخطيب بسنده ان عمر بن الهيـاج قال : كنت صاحب شريك فأتيته يومـاً فخرج اليّ في فروليس تحتـه قميص وعليه كساء ، فقلت له : لقد أصبحت عن مجلس الحكم ؟ فقال : غسلت أمس ثيابي فلم تجف وانا منتظر جفافهـا اجلس . قال : فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مولاه ، وكانت الخيزران قد وجهت رجلا نصرانياً وكتبت الى موسى بن عيسى لا يعصي له امراً ، فظلم رجلا فتعلق ذلك الرجـل بشريك فاقتص له منه بيـده ، ثم عاد يذاكر عمر فى العبد تزوج كأن لم يفعل شيئاً ، وقد ساق الحكاية بطولها في مرآة الزمان ناقلاً لهـا عن الخطيب . قال في مرآة الزمان : وقد روى عن ابن عون ان شريكاً كـان يشرب النبيذ المثلث على رأي أهل العراق ، وبذلك عابوه . توفى سنة ١٧٧ .

(ابن يونس)

موسى بن محمـد بن منعـة المعروف بابن يونس الموصلى الشافعي ، احد المتبحرين في العلوم المتنوعة . قيل انه كان يتقن اربعة عشر علماً ، كان يقرأ عليه الحنفيون كتبهم ، وكـان يقرأ عليه أهل الكتاب التوراة والإنجيل فيقرون انهم لم يسمعوا بمثل تفسيره لها ، وكان الشيخ تقى الدين

ابن الصلاح يبالغ في الثناء عليه ، فقيل له يوماً : من شيخه ؟ فقال : هـذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال على من اشتغل فانه اكبر من هـذا . قال ابن خلكان : وكان يتهم في دينـــه لكون العلوم العقلية غالبة عليه . توفى ســنة ٦٣٩ .

وأنشد العماد المعري في ابن يونس :

اجدك ان قد جاد بعد التعبس غزال بوصل لى واصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كرقة شعري او كدين ابن يونس

قال الموفق عبد اللطيف : وكـــان مستغرق الوقت والعقل في حب الكيمياء حتى صار يستخف بكل ما عداها .

(أبو بكر النيسابوري)

عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي العلامة المعروف بأبي بكر بن زياد . قال يوسف القواس : سمعت ابا بكر النيسابوري يقول : أتعرف من أقام اربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ؟ ثم قال : أنا هو . توفى سنة ٣٢٢ .

(محمد شمس الدين)

ابو عبـد الله بن الإمام العـــلامة عفيف الدين التلمساني الشاعر بن الشاعر ، تعانى الكتابة وولى عمالة الخزانة ، كان فيه عشرة ولعب وخلاعة كما قاله الغزى في مختصر تاريخ الاسـلام . قال في الذيل : وكـان شمس الدين محمد المذكور قد أضافه اولاد المشطوب وطلبوا منه ان يبيت عندهم ، فقال لهم : أعلموا والدي بمبيتي عندكم حتى لا يتشوش خاطره هو والوالدة فبعثوا الى والده الشيخ عفيف الدين ولدهم العماد اسماعيل ـ وهو يومئـذ

من احسن الفتيان صورة ـ لإعلام الشيخ عفيف الدين بمبيت ولده عندهم ، فتكلم عفيف الدين بديهاً هذين البيتين وبعث بهما صحبة العماد إسماعيل :

بعثتموا لي رسولاً في رسالته حلو المراشف والأعطاف والهيف
وقد تما ويسير ذاك انكما أوقدتما النار في بادي الضنى دنف

فرد عليه ولده شمس الدين بديهاً وكتب على ظهر الرقعة :

مولاي كيف انثنى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف ردّت بلاثقب الى الصدف

لما قدم السجاعي دمشق خاف منه شمس الدين لكونه كاتب الخزانة خوفاً عظيما انقطع منه قلبه ، فمات شاباً سنة ٦٨٨ .

(ابن حزم)

ابو محمد علي الظاهري ، الامام العلامة الحافظ المجتهد . كان كثير الوقوع في العلماء فنفرت عنه القلوب وتألب عليه الفقهاء واتفقوا على بغضه وتضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو منه ، فأقصته الملوك وشردته عن بلادها حتى انتهى الى بادية فلاة فتوفى بها سنة ٤٥٦ .

(ابو الحسن)

علي بن بوعت ، كان شاعراً مجيداً إلا انه كان قليل الحظ من الدنيا ، لم يزل رقيق الحال ضعيف القدرة الى أن توفي وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة بمصر سنة ٤١٦ .

(ابو حاتم السجستاني)

قال التبغاشي وغيره : كان أفضل أهل زمانه علماً وورعاً ، وبلغ

من فضله انه كان يتصدق كل يوم بدينار ويختم القرآن في كل اسبوع ، وكان من اظرف أهل زمانه واطيبهم خلوة وأحسنهم مفاكهة ، إلا انه كان مولعاً بالغلمان يذهب فيهم مذهب الإستمتاع بالنظر لاقضاء الوطر ، وذكر ان المبرد أبا العباس كان يحضر حلقته يقرأ عليه ، وكان المبرد من اجمل أهل زمانه ، فقال فيه ابو حاتم :

وقف الجمال بخده فسما به حذو الامام
حركاته وسكونه تحيا بها مهج الانام
فاذا خلوت بمثله وعزمت فيه على اغترام
لم أعد افعال العفا ف وذاك اوكد للغرام
نفسي فداؤك يا ابا الـ عباس حل بك اعتصام
فارحم اخاك فانه نزر الكرى بادي السقام
وأنله ما دون الحرا م فليس يطمع في الحرام

وقرأت من خط الشيخ شهاب الدين السجستاني : ابو حاتم السجستاني سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني ثم البصرى النحوى المقرىء صاحب المصنفات ، أخذ عن ابي عبيدة وأبي زيد الأنصارى والأصمعى وغيرهم ، وحمل الناس القرآن والحديث والعربية ، وكان جماعاً للكتب وله اليد الطولى في اللغة والشعر والعروض والمعمى ، ولم يكن حاذقاً في النحو . وله إعراب القرآن ، وكتاب ما يلحن فيه العامة ، والمقصور والممدود ، وكتاب القسي والنبال والسهام ، وكتاب الهجاء ، وكتاب الشتاء والصيف ، وكتاب النحل والعسل . وكان ابو العباس المبرد يلازم حلقته وهو غلام وسيم في نهاية من الجمال ، فعمل فيه أبو حاتم . . . وذكر الأبيات المذكورة . توفى سنة ٢٥٠ .

(ابن الجبان الاصفهاني)

محمد بن علي بن عمر بن الجبان الإصفهاني ابو منصور ، احد حساب الرى وعلمائها الأعيان ، جيد المعرفة باللغة ، ومن تصانيفه كتاب أبنية الأفعال وكتاب الشامل في اللغة وهو كتاب كبير وشرح الفصيح وهو حسن . قال ياقوت : وجدت خطه على كتاب الشامل له ، وقد كتبه في سنة ٤١٦ . وذكره يحيى بن مندة فقال : بينه وبين الصاحب بن عباد مكاتبات ، وعلق غلاماً من الديلم يقال له التركاني ، فاتفق للغلام انه عزم على الحج فلم يجد ابن الجبان بدأً من موافقته ومرافقته ، فلما بلغا الميقات وأحرما وأخذا في التلبية قال ابن الجبان « لبيك اللهم لبيك والتركانى ساقنى اليك » وكان هجيراه :

يا نسيم الروض في السحر ... وشبيه الشمس والقمر
ان من اسهرت ليلته ... لقرير العين بالسهر

ثم ابتلى بفراقه فكتب اليه :

يا وحشتى لفراقكم ... أترى يدوم على هذا
الموت والأجل المتا ... ح وكل معضلة ولا ذا

نقلت هذه الترجمة من خط الشيخ نور الدين الأبياري .

(السهيلى)

عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد ابو القاسم وابو زيد وابو الحسن الخثعمى السهيلى الأندلسي المالقي النحوي الحافظ . ناظر علي بن الحسن ابن الطراوة في كتاب سيبويه وسمع منه كثيراً من كتب اللغة ، ذكر انه استخرج الروض الأنف من نيف وعشرين ومائة ديوان ، وله كتاب

التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن ، وكتاب شرح آية الوصاية وشرح الجمل ولم يتمه ، واستدعي الى مراكش ليسمع بها وبها توفى . قال ابن خلكان : وكان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نمى خبره الى صاحب مراكش فطلبه وأحسن اليه وأقام بها نحو ثلاثة أعوام ، ثم توفى سنة ٥٨١ .

(ابن دحية الكلبي)

العلامة ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن الجميل المعروف بابن دحية الكلبي ، كان يكتب لنفسه ذو النسبتين بين دحية والحسين وانه سبط ابي السام الحسيني الفاطمى . كان له التصانيف الفائقة والرحلة الواسعة والدراية الحسنة بالنحو واللغة والحديث متناً واسناداً ، وروى عن جماعة وروى عنه جماعة - طول الحافظ الذهبي روايته ومن روى هو عنه وأطال ترجمته الى ان قال : قال ابن واصل: وكان ابوالخطاب مع فرط معرفته بالحديث متهماً بالمجازفة في النقل ، وبلغ ذلك الملك الكامل وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة ، فأمره ان يعلق شيئاً على احاديث الشهاب ، فعلق كتاباً تكلم فيه على أحاديثه واسناده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين : قد ضاع مني فعلق لى مثله ففعل ، فجاء في الثاني بمناقضة الأول ، فعلم السلطان صحة مانقل عنه وعزله من دار الحديث . قال ابن نقطة : كان يدعى اشياء لا حقيقة لها ، ذكر لى ابو القاسم بن عبد السلام وهو ثقة قال : نزل عندنا ابن دحية فكان يقول : انا احفظ صحيح مسلم والترمذي ، فخلطنا له أحاديث من الترمذي بأحاديث موضوعة وامتحناه بها فلم يعرف منها شيئاً . قال ابن خلكان : وصنع للمظفر صاحب اربل قصيدة ادعى أنها له ، فظهرت في ديوان الأسعد بن مماتي . قال الذهبي : وكذلك نسبه شيء لاحقيقة له ، قرأت بخط ابن مدى:

كان ابوه تاجراً يعرف بالكلبي بين الفاء والباء وهو اسم موضع بدانية ، وكان ابو الخطاب يكتب اولاً الكلبي معاً اشارة الى النسب والبلد . توفي سنة ٦٣٣ .

(المسعودي)

شارح المقامات محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود ابو سعيد وابو عبد الله ابن ابي السعادات المسعودي الخراساني ، روى عن جماعة وروى عنه جماعة ، وكان المحدثون يلينونه كما قال الذهبي . وقال ابن خليل الآدمي : لم يكن في نقله بثقة ولا مأمون . توفى سنة ٥٨٤ .

(الشاطبي)

القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرىء احد الأعلام . كان إماماً علامة نبيلاً واسع المحفوظ كثير الفنون بارعاً في القراآت وعللها حافظاً للحديث استاذاً في العربية ، وقصيدتاه في القراآت والرسم مما يدل على تبحره . قال الذهبي : وصبر على فقر شديد ثم قدم القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط إشترطها . قال السخاوى : أقطع بأنه كان مكاشفاً وانه سأل الله تعالى كفاف حاله ما كان أحد يعلم أيّ شيء هو . توفى سنة ٥٩٥ .

(ابن طارق)

أحمد بن طارق بن سنان ابو الرضي الكركي الأصل البغدادي المولد التاجر المحدث ، سمع من أبي نصر موهوب بن الجواليقى وأبي الفضل بن الأرموي واحمد بن طاهر المهسى وجماعة غيرهم ، طول روايته وذكر من

روى عنه الذهبي ثم قال : قال ابن النجار : الا أنه كان غالياً في التشيع شحيحاً مقتراً على نفسه يشترى من لقم المكدين ويتبع المحدثين ليأكل معهم ولا يشعل في بيته ضوأ وخلف تجارة تساوي ثلاثة آلاف دينـــار . مات في سنة ٥٩٢ وبقي في بيته اياماً لا يدرى به واكلت الفارة اذنيه وأنفه .

(القاضي الفاضل)

أبو علي بن القاضي الأشرف ابى الحسين اللخمى العسقلانى البيسانى ، مسودّات رسائله لا تقصر عن مائة مجلد . قال الموفق عبد اللطيف : كان قليل النحو لكن له دربـة قوية تعرض له قلة اللحن ، وكان متقللا في مطعمه ومنكحه وملبسه ، لباســه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين ، وكان فيه سوء خلق يكتمه ولا يظهره . توفى سنة ٥٩٦ .

(ابن بيان)

ذو الرياستين محمد بن محمد ذي الرياستين بن أبي الطاهر الأبياري المصري ابو الفضل ، سمع من خلـق وكتب الكثير بخطه ، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية ، وتقلب في الخدم في الأيام الصلاحية ، وكـان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمتدحه ويفتخر بالوصول اليه ، فلما جاءت الدولة الصلاحية قال القاضي الفاضل : هــذا رجل كبير القدر يصلح أن يجرى عليه ما يكفيه ويجلس في بيته ففعل به ذلك ، ثم انه توجه الى اليمن ووزر لسيف الإسلام ، ثم عاد وعليـه ديون ثقيـــلة وأدى أمره الى ان جلس في الجامع الأزهر ، وكـــان ينتقص القاضي الفاضل لا يراه بالعين الأولى والفاضل يقصر في حقه فيقصر الناس معه مراعاة له ، وكان بعض من له عليـــه دين أعجمياً جاهلاً فصعد الى سطح الجـــامع وسفه عليـه

وقبض على لحيته ، ففر وألقى نفسه من سطح الجامع فتهشم وحمل الى داره فبقي اياماً ثم مات سنة ٥٩٦ .

(ابن بصيلة)

عبد الله بن خلف بن رافع الحافظ ابو محمد بن بصيلة المكى الأصل القاهري . كان حافظاً محصلاً عالماً بالتواريخ والوفيات ، وجمع مجاميع مفيدة وشرع في تاريخ مصر وعجز عن اكماله لضيق ذات يده . توفى سنة ٥٩٨ .

(شميم)

علي بن الحسن بن عنبر الأديب ابو الحسن النحوي المعروف بشميم الشاعر الحلي ، قدم بغداد وتأدب بها على أبي محمـــد بن الخشاب وغيره وحفظ كثيراً من أشعار العرب واحكم اللغة والغربية ، وقال الشعر الجيد إلا ان حمقه أخره . قال الذهبي : قرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموماني قال بعض العلماء : وردت الى آمد سنة ٥٩٤ فرأيت أهلهـا مطبقين على وصف هـــذا الشيخ ، فقصدته ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً نحيف الجسم وبين يديه حملان مملوء كتباً من تصانيفه ، فسلمت عليه ثم قلت : انما جئت لأقتبس من علومك شيئا . فقال : أيّ علم تحب ؟ قلت : الأدب . قال : ان تصانيفي في الأدب كثيرة وذلك ان الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وبوّبوها وأما أنا فكل ما عندى من نتائج فكرى ، فانني قد عملت كتاب الحماسة وابو تمام جمع اشعار العرب في حماسته وانا فعلت حماسة من شعري ، ثم سب ابا تمام وقال : رأيت الناس مجمعين على استحسان خمريات أبي نؤاس فعملت كتاب الخمريات من شعري ، ورأيتهم مجمعين على خطب ابن نباتة فعملت خطباً . وجعل يزري بالمتقدمين ويصف نفسه ويجهل الأوائل ويقول

ذاك الكلب قال كـذا . قلت : فأنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني من الخمريات له فاستحسنت ذلك فغضب وقال : ويلك ما عندك غير الإستحسان . فقلت : فما أصنع ؟ قال : تصنع هكذا ، ثم قام يرقص ويصفق الى ان تعب ثم جلس يقول : ما أصنع ببهائم . ثم شطح في الـكلام وقال : ليس في الوجود إلا خالقان واحد في السماء وواحد في الأرض ، فالذي في السماء هو الله تعالى والذي في الأرض انا . ثم التفت اليّ وقال : هذا لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه ، انا لا اقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام . فقلت : يا مولانا انا محدث وان لم يكن في المحدث جرأة مات بغيظه وأحب ان اسألك عن شيء ، فتبسم وقال : ما اراك تسأل إلا عن معضلة هات . فقلت : لم سميت شميماً ، فشمني وقال : اعلم أنني بقيت مدة لا اتغوط ثم يجيء كالبندقة من الطين ، فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط اليه شمه فإنـه لا رائحة له ، فلقبت بذلك أرضيت يابن الفاعلة . قال ابن النجار : كان اديباً مبرزاً في علم اللغة والنحو ، لكنه كان احمق قليل الدين رقعا يستهزىء بالناس ولا يعتقد ان في الدنيا مثله ولا يكون أبدا . وحكى ابن العديم بسنده انه كان لا يأكل الا التراب ، فكان رجيعه يجيء يابساً لا ريح له ، فيجعله في جنبه فمن دخـل عليه اشمه اياه ويقول : قد تجوهرت . توفى سنة ٦٠١ وله عدة كتب كثيرة يطول ذكرها .

(الجزولى)

عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى العلامة ابو موسى الجزولى اليزدكتني المراكشي النحوى ، حج ولزم العلامة عبد الله بن بري وأخذ العربية عنه جماعة ، وكان علامة لا يشق غباره في النحو مع جودة التفهيم وحسن العبارة ، وأتى فى مقدمته بالعجائب حتى ان الشخص يعرف المسألة

من النحو معرفة جيدة واذا رآها في الجزولية يدور رأسه فيها ، واسم هذه المقدمة « القانون » ، وكان ينكر أنها له تورعاً لأنها نتائج بحوثـه على ابن بري وبحوث رفقائه . وبللبخت جده رجل بربري ، وجزولة بطن من البربر . قال الذهبي : وقرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني ان الجزولى قاسى بمدة مقامه بمصر كثيراً من الفقر ولم يدخل مدرسة ، وكان يخرج الى الضياع يؤم بقوم فيحصل ما ينفقـه في غاية الصبر ، ورجع الى المغرب فقيراً مدقعـاً ، فلما وصل الى المرية او نحوها رهن كتاب ابن السراج الذي قرأه على ابن بري وعليه خطه ، فأنهى المرتهن امره الى الشيخ ابي العباس المغربي أحد الزهاد بالمغرب ، وكان يصاحب بني عبد المؤمن ، فأنهى ابو العـباس ذلك الى السلطان فأمر بإحضاره وقدمه واحسن اليه ـ انتهى . وصنف كتاباً في شرح أصول ابن السراج واخذ عنه النحو ابو علي الشلوبين ويحيى بن معطي . توفى سنة ٦٠٧ .

(التاج الكندي)

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن العلامـة تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي المقرىء النحوي اللغوي ، أعلى أهل الارض أسناداً في القراآت . قال ابن النجار : كان اعلم أهل زمانه بالنحو ، أظنه يحفظ كتاب سيبويه ، ما دخلت عليه قط إلا وهو في يده يطالع فيه ، وهو في مجلد واحد بخط رفيع . والشيخ يقرأه بلا كلفة وقد بلـغ التسعين . قال القفطي : كان بحلب يبتاع الخليـع من الملبوس ويتجر به الى بلد الروم . ثم ترقت به الحال وكان ليناً فى الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ، اذا نوظر جبه بالقبيح ولم يكن موفق العـلم . رأيت له اشياء باردة . قال : واشتهر عنه انه لم يكن صحيح العقيدة . قال الموفق عبد

اللطيف : كان معجبا بنفسه مؤذياً لجليسه . توفى سنة ٦١٢ .

(ياقوت)

ابن عبد الله شهاب الدين الرومي الحموي البغدادي الإمام النحوي اللغوي الأخباري . صنف كتاب معجم البلدان ، وكتاب معجم الأدباء وارشاد الألباءالى مغرفة الأدباء في اربع مجلدات ، وأخبار الشعراء المتأخرين ، ومعجم الشعراء ، وكتاب المشترك وضعاً المختلف صقعاً ، وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ ، وكتاب المقتضب في النسب . اتفق له مرة أنــه تنقص علياً رضى الله عنه فثار عليه الناس وكادوا يقتلونه فهرب الى حلب ثم الى الموصل واربل ودخل خراسان واستوطن مرو يتجر ، ثم دخل خوارزم فصادفه خروج التتار فانهزم بنفسه وقاسى شدائد وتوصل الى الموصل وهو فقير دائر . قال الذهبي : قال جمال الدين القفطي في تاريخ النحاة له انه كتب اليه رسالة من الموصل شرحــاً لما تم على خراسان ، ومنها « كان المملوك لما فارق مولاه اراد استعتاب الدهر الجامع واستدرار حلب الزمان الجامح اغتراراً بأن الحركة بركة والإغتراب داعية الإكتساب فامتطى غارب الأمل الى الغربة وركب ركوب التطواف مع كل صحبة ، فلم يرث له دهره الخؤن ولا رق له زمانه المفتون .

إن الليالي والأيام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

وهيهات مع حرفة الأدب بلوغ وطر أو إدراك أرب ، ومــع عبوس الحظ ابتسام الدهر الكظ ، ولم ازل مع الدهر في تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالإياب » وهي طويلة . توفى ٦٢٦ .

(ابن معطي)

يحي بن عبد النور الشيخ زين الدين أبو الحسين الزواوي المغربي النحوي الحنفي ، صنف في الأدب والنحو والعروض وحمل الناس عنه ، وكان إماماً مبرزاً في علم اللسان شاعراً محسناً ، وكان احد الشهود بدمشق وليس له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته كما قال الحافظ الذهبي ، فحضر مع العلماء عندالملك الكامل ، وكانله طرف من النحو ،فسألهم فقال « زيد ذهب به » هل يجوز في زيد النصب ؟ فقالوا: لا.فقال:ابن معطي يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذى دلّ عليه ذهب وهو الذهاب ، وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو به النصب ، فيجيء من باب زيد مررت به ، اذ يجوز في زيد النصب فكذلك ههنا. فاستحسن السلطان جوابه وامره بالسفر معه الى مصر ، فسافر وقرر له معلوماً . قال الذهبي : فلم تطل مدة حياته فتوفى سنة ٦٢٨ .

(ابو حامد الاسفرايني)

احمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني الشيخ ابو حامد بن أبي طاهر ، شيخ طريقة العراق بل امام المذهب على الإطلاق ، شيخ الإسلام والمسلمين قاطبة ورحلة الطلاب ، طبق الشيخ ابو حامد الأرض بالأصحاب وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه ، واتفق الموافق والمخالف على تفضيله حتى قال ابو الحسين القدوري : هو عندي أفقه او أنظر من الشافعي ، وافتى وهو ابن سبع عشرة سنة وقام يفتي الى ثمانين سنة ، انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا حتى انه قال للخليفة : انك لست بقادر على عزلي من ولايتي التي أولاني الله تعالى اياها وانا قدر ان اكتب الى خراسان بكلمتين او ثلاثة

أعزلك عن خلافتك ، وارسل الى مصر فاشترى أمالى الشافعي بمائة دينار قال السبكي فى الطبقات عن سليم الرازي : ان الشيـــخ أبا حامد كان يحرس في درب كان يطالع في زيت الحرس ويأكل من أجرة الحرس . توفي فى شوال سنة ٤٥٦ .

(ابن عنين)

محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين الأديب الرئيس شرف الدين ابو المحاسن الأنصاري الكوفي الدمشقي الشاعر المشهور ، سمع من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ، كان غزير المادة مطلعــاً على اشعار العرب ، واشتغل على القطب النيسابوري والفخر الرازي وجال في البلاد ومدح الملوك والوزراء وهجا الصدور والكبراء ، أقامه الملك المعظم مقام نفسه فى ديوانه فأحسن السياسة ، إلا انه فى الأخير ظهر منه سوء اعتقاد وطعن في السلف واستهتار بالشريعة وكثر عسفه وظلمه وترك الصـــلاة وسب الأنبياء صلوات الله عليهم ، ولم يزل يستورد الخمر الى ما قبـــل وفاته بقليل . توفى سنة ٦٣٠ .

(ابن حمويه اليزدي)

علي بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين حمويه الإمام ابوالحسن اليزدي الشافعي المقرىء المحدث نزيل بغـــداد ، حدث عن خلق ذكرهم الحافظ الذهبي وذكر من روى عنه . قال : وقرأت بخط احمد بن شافع أن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً . قال ابو سعيد السمعاني : فقيـه فاضل سخي النفس بما يملك ، كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه اذا خرج ذلك قعد هذا واذا خرج هذا قعد الآخر ، هكذا ترجمه الذهبي

وطول في ترجمته فذكر مشيخته وكراماته إلا انه قال : زاهد . توفى سنة ٥٥١ .

(نفطويه)

ابراهيم بن عرفة ابو عبد الله النحوي المعروف ، أخذ العربية عن المبرد وثعلب ومحمد بن الجهم ، وخلط نحو الكوفة بنحو البصرة ، وتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري ، ومن تصانيفه كتاب التاريخ ، غريب القرآن ، المقنع في النحو ، المصادر ، الوزراء . وغير ذلك . وكان مع كونه من أعيان العلماء غير مكترث بإصلاح نفسه ، وكان يفرط به الصنان فلا يعرّه ، وحضر يوماً مجلس وزير المقتدر حامد بن العباس ، فتأذى هو وجلساؤه من صنانه فطلب الوزير مرتكا فبدأ بنفسه واداره على الجماعة فتمرتكوا وفطنوا مراده ، فقال نفطويه : لا حاجة لى به . فراجعه فأبى فاحتد حامد وقال : عاض كذا من امه انما تمرتكنا من أجلك فإنا تأذينا بصنانك قم لا أقام الله لك وزناً ، أخرجوه وأبعدوه ببغداد . توفى سنة ٣٢٣ ولقب نفطويه لرمامته وأذيته تشبيهاً بالنفط .

(إمام الائمة ابن خزيمة)

محمد بن اسحاق بن خزيمة إمام الائمة ابو بكر السلمي النيسابوري المجتهد المطلق البحر العجاج ، روى عن خلائق وروى عنه الأئمة البخاري ومسلم ويحي بن محمد بن صاعد وغيرهم . قال الحاكم : سمعت أبا عمرو ابن اسماعيل يقول : كنت في مجلس ابن خزيمة فاستمد مدة فناولته القلم بيساري اذ كانت يميني قد اسودت من الكتابة ، فلم يأخذ القلم وأمسك فقال بعض اصحابه : لو ناولت الشيخ بيمينك فقد امتنع من ان يأخذ

من يسارك ، فأخذت القلم بيميني وناولته اياه فأخذه مني . وقد أطال الحاكم في تاريخ نيسابور ترجمته بما لا مزيد على حسنه . قال السبكي في الطبقات قال ابو أحمد الدارمي : كان له قميص يلبسه وقميص عند الخياط ، فاذا فرغ الذي يلبسه وهبه وغدوا الى الخياط وجاؤا بالقميص الآخر ، وقيل له يوماً : لوحلقت شعرك في الحمام ؟ فقال : لم يثبت عندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حماماً قط ولا حلق شعره انما تأخذ شعري جارية بالمقراض . توفى سنة ٣١١ .

(ابو عمر غلام ثعلب)

محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين ، صحب ابا العباس ثعلباً فعرف به ، وله تصانيف كثيرة وكان لسعة روايته وحفظه يكذبه أدباء زمانه فى اكثر نقل اللغة ويقولون لو طار طائر يقول ابو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر فىمعنى ذلك شيئاً ، وكان أغلب تصانيفه من حفظه حتى انه املى فى اللغة ثلاثين ألف ورقة فلهذا الإكثار نسب الى الكذب . قال الملك المؤيد صاحب حماه فى تاريخه : وكان اشتغاله بالعلوم قد منعه من اكتساب الرزق فلم يزل مضيقاً عليه . توفى سنة ٣٤٥ .

(ابو الوقت السجزى)

عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق أبو الوقت السجزي الأصل الهروي الصوفي ، مسند العصر ورحلة الدنيا ، روى عن خلائق وروى عنه امم لا يحصون . حكى عن والده انه اخذه ماشياً من هراة الى بوشنج ليسمعه الحديث وكان ابوه ايضاً ماشياً ، فكان اذا أعيا

حمله على كتفه وعمره اذ ذاك دون عشر سنين . قال : وكنا نلتقي على أفواه الطرق فلاحين فيقولون : ياشيخ عيسى ادفع الينا هذا الطفل نركبه واياك . فيقول : معاذ الله أن يركب في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلحسن نية الوالد صارت الوفود ترحل الي من الأمصار . توفى سنة ٥٥٤ .

(ابن نباتة السعدي)

ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي ، أديب فضلـــه تام وروض علمه زاهر ، اصفى عليه حرمانه ولم يسعفه زمانه ، ورد على ابي الفضل ابن العميد وامتدحه بقصيدته التي أولها :

برح اشتياق وادكار ... ولهيب انفاس حرار
ومدامـــع عبراتها ... ترفض عن نوم مطار
لله قلبي مـــا يجن ... من الهموم وما يواري
وكبرت عن وصل الصغا ... ر وماسلوت عن الكبار

ومنها:

لم يبق لي عيش يلـ ... ـذ سوى معانقة العقار
واذا استهل فتى العميـ ... ـد تضاحكت ديم القطار
حر صفت اخلاقه ... صفو السبيك من النضار

فتأخرت صلته فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزدها ابن العميد غير الإهمال ، فتوصل الى أن دخل عليه ومجلسه محتفل بالأعيان فأشار بيده اليه وقال : أيها الرئيس إني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظـاراً لصلتك ، ووالله ما بي الحرمان ولكن شماتة قوم نصحوني فاغتششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأى وجـــه

ألقاهم ، فان كان للنجاح علامة فأين هي وما هي ، إن الذي تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك ، فزاحم بمنكبيك أعظمهم سناءاً وأنورهم شعاعاً . فحار ابن العميد وشده وأطرق ساعة ثم قال : هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الإستزادة وعن الإطالة منا في المعذرة ، واذا ترامينا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة : هذه نفثة مصدور والغنيّ اذا مطل لئيم . فاستشاط ابن العميد وقال : والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضى عنك ، وان بعض ما أقررته في مسامعي تنقض منه مرة الحليم ويبدد شمل الصبر ، هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي . فقال ابن نباتة : لما جلست في صدر أيوانك بأبهتك وقلت « لا يخاطبني أحد الا بالرياسة » دعوتني بلسان الحال وان لم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد مغضباً ودخل حجرته وتعوص المجلس ، وسمع ابن نباتة ذاهباً وهو يقول: والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الأدب إن كان بائعه مهيناً له ومشتريه مماكساً فيه ، فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه علمه التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص بين سمع الأرض وبصرها ، فكان حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات ـ ملخصاً من ابن خلكان .

(الزبيدي)

محمد بن يحيي بن علي بن مسلم القرشي الزبيدي الواعظ أبو عبد الله كان له معرفة بالنحو والأدب . قال الذهبي : قال احمد بن صالح بن شافع كان له في علم الأصول وعلم العربية حظ وافر ، وصنف كتباً في فنون العلم تزيد على مائة تصنيف . قال الحافظ الذهبي : وكان صبوراً على الفقر

متعففاً حنفي المذهب . قال ابو الفرج ابن الجوزي : حدثني الوزير ابن هبيرة قال : جلست مع الزبيدى من بكرة الى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً في فيه ، فسألته فقال : لم يكن لى شيء فأخذت نواة أتعلل بها . قال ابن السمعاني : كان فينا عجيباً يخضب بالحناء ويركب حماراً مخضوباً ويعظ ويجبه بالحق . توفى سنة ٥٥٥ .

(ابو النجيب السهروردي)

عبد القاهر بن عبد الله بن محمـد الشيخ ابو النجيب السهروردي الصوفي الواعظ الفقيه الشافعي . قال الذهبي : الزاهد حفظ كتاب الوسيط في التفسير للواحدي وسمع كتب الحديث المشهورة وتفقه على اسعد الميمنى وتأدب على الفصيحى وكتب عنه ابو سعد السمعانى . قال ابن النجار : انبأنا يحيى بن القـاسم التكريتى انبأنا ابو النجيب قال : كنت ابقى اليوم واليومين لا استطعم بزاد ، وكنت أنزل الى دجلة وأتقلب في المـاء حتى يسكن جوعي ، حتى دعتنى الحاجة الى ان اتخذت قربة وكنت استقي بها الماء لأقوام ، فلما تعذر ذلك في الشتاء خرجت الى بعض الأسواق فوجدت رجلاً بين يديه طبرزين وعنده جماعة يدقون . فقلت : هل لك ان تستأجرنى. فقال : أرنى يديك فأريته فقال : هـذه يد لا تصلح الا للقلم ، ثم ناولنى قرطاساً فيه ذهب . فقلت : ما آخذ إلا اجرة عملي وكـان رجلا يقظاً فقال : اصعد . وقال لغـلامه : ناوله تلك المدقة ، فناولنى فدققت معهم فلما عملت ساعة قال : تعال . فجئت اليـه فناولنى الذهب وقال : هـذه أجرتك ، فأخذته وانصرفت ثم وقع في قلبي الإشتغال فاشتغلت . ثم قال ابن النجار : ثم وعظ على أصحابه بخربة على دجلة يحضره الرجل والرجلان الى ان اشتهر اسمه وصار له القبول عند الملوك وزارته السلاطين وبنى تلك

الحربة رباطاً وبنى الى جانبها مدرسة ، ثم ولى التدريس بالنظامية وعزل عنها بعد سنتين . توفى سنة ٥٤٥ .

(الميداني)

احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الميدانى ، صاحب الأمثال ، تلميذ أبي الحسن الواحدي ، واشتمل كتابه في الأمثال على ستة آلاف مثل ، ولما وقف عليه الزمخشري حسده فزاد في لفظة الميداني نوناً قبل الميم فصار النميدانى ، وهو بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً ، فعمد الى تصنيف الزمخشرى وعمل الميم نوناً فصارت الزنخشرى وهو بالفارسية بائع زوجته . قال محمد بن المعالى في كتابه ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب: سمعت أكابر أصحاب الميداني يقولون : لو كان للوفاء والشهامة والفضل صورة لكان الميدانى صورتها . ومن نظمه رحمه الله تعالى :

شفة لماها زاد في آلامى في رشف ريقتها شفاء سقامى
قد ضمنا جنح الدجى وللثمنا صوت كقطك ارؤس الاقلام

توفي سنة ٥٣٩ .

(ابو العلاء الهمذانى)

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الحافظ ابو العلاء الهمذاني العطار المقرىء الحنبلى المحدث شيخ مدينة همذان ، أربى على أهل زمانه في كثرة السماعات وتحصيل الأصول ، وبرع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير . قال الحافظ عبد القادر الرهاوى : شيخنا الإمام ابو العلاء أشهر من ان يعرف بل تعذر وجود مثله في أعصار كثيرة ، سمعت أن من جملة محفوظاته

كتاب الجمهرة ، رآني يوماً وعلى رأسي قلنسوة مكشوفة فقال : لاتلبسها مكشوفة فان اول من أظهر لبس القلانس مكشوفة ابو مسلم الخراساني ، ثم شرع في ذكر أبي مسلم فذكر أحواله من أولها الى آخرها . وجاءته مرة فتوى في امر عثمان ، فأخذها وكتب فيها من حفظه ونحن جلوس درجاً طويلاً ذكر فيها وفاته وسنه ومولده وأولاده وما قيل فيه الى غير ذلك . وكان من أبناء التجار وورث مالاً فأنفقه في طلب العلم حتى سافر الى بغداد واصبهان مرات كثيرة ماشياً وكان يحمل كتبه على ظهره ، وسمعته يقول : كنت أبيت ببغداد في المساجد وآكل خبزاً أدهن ، وسمعت شيخنا أبا الفضل الأديب الهمذاني يقول : رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه لأن السراج كان عالياً ، ثم نشر الله ذكره في الآفاق وعظم شأنه عند الملوك والعوام ، حتى انه كان يمر في همذان فلا يبقى أحد يراه إلاقام ودعا له حتى الصبيان واليهود. توفي سنة ٥٦٩ .

(ابن مكتوم)

صاحب الدر اللقيط تلميذ ابي حيان احمد بن عبد القادر بن احمد ابن مكتوم القيسي الحنفي تاج الدين الإمام النحوي المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف المفيدة فمنها : تاريخ النحويين ، وكتاب الحيل ، وكتاب الدر اللقيط الذى انتقاه من البحر المحيط لأبي حيان ، ومنها شرح تصريف ابن الحاجب ، واختصار تاريخ القفطي ، وشرح فصيح ثعلب ، وله مجاميع حسنة بخطه . ورأيت بخط العلامة نور الدين الأبيارى أشياء حسنة يذكر أنه نقلها من خطه . قال ابن مكتوم ومن خطه نقلت : اذكر مرة وقد حمل الحسد على العلم بعض من ابتلاه الله بالجهل ممن كان يجالسنى من

الشهود على ان تألب عليّ وأعانه على ذلك نويس من أشكاله ، فاجتمع عنده نحو الخمسة منهم وكتب هو بخطه رسماً نسبني فيه الى الوقوع فيما يعلم الله براءتي منه وقدمه اليهم ليشهدوا فيه عليّ زوراً بما تضمنه ، فأراد كل منهم أن يتقدمه غيره الى ذلك وجبنوا وألقى الله الرعب في قلوبهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، فتفرقوا من فورهم خاملين وصاروا عن قليل بعد الصحبة الأكيدة متعادين يذكر كل منهم عن الآخر ما اذا سمعه أحزنه وغمه ، ولا يرقب في شتمه واغتيابه إلاًّ ولاذمه ، فالحمدلله الذي كفاني شرهم وجعل محل كيدهم نحرهم ، وحتى بلغني ذلك من بعضهم ومن آخرين سواهم فلم اعتب احداً منهم على ما فعله ، إذ داء الحسد كما علم لا دواء له ، فقال :

سوى وجع الحساد داء فانه اذا حل فى قلب فليس يحول

وقال محمد بن عيسى بن حمدان القرطبي :

كن من اخ في فؤاده دغل اخوف من كاسح يجاهده
برء السقام الخفي اعسر من برء سقام بدت شواهده

ـ انتهى ما أردت نقله من خطه ، وجدت بخطه مجموعاً ومنه نقلت ما كتبت هنا ، وهو مكتوب في ظهور الحجج والوثائق التي تجتمع عند الشهود بحيث انه صار مقسوماً صفحتين صفحتين بين كل ظاهرين باطنان فيهما الوثيقة ، وهذا إما عن فقر عظيم أو عن شح عظيم ، وأياً ما كان فهو مستحق للذكر في هذا الفصل .

(ابن خالويه)

الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويـــه الهمداني اللغوي المقرىء النحوي ابو عبد الله ، أحد العلماء المشهورين والأدباء المصنفين ، ومن

تصانيفه : كتاب الإشتقاق ، وكتاب الجمل في النحو ، وكتاب القراآت وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، وكتاب المقصور والممدود ، وشرح شعر أبي فراس الحمداني وغير ذلك . قرأت بخط العلامة ابن مكتوم انه كان يلقب بذي النونين لأنه كان يطولها في خطه وهما نون الحسين ونون ابن . قال : وقد رأيتهما طويلتين في آخر كتاب الجمرة بخطه وقد طولها جداً كما ذكر عنه ، ووجد على نسخة من إصلاح المنطق بخط أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد البزار ما مثاله لما فرغت من هذا الجزء كان ابو سعيد العطاردى حاضراً فقال على لساني :

قرأت ما فيه على الحسين قراءة صدق لم تشب بمين
مستفهم الشكل مرتين فجاء كالمسك على لجين
أو كعذار فوق عارضين حتى اذا ما تم لى باون

* شرفني الاسناد بالنونين *

قال ابن مكتوم كما نقلته من خطه : وكان ابن خالويه على إمامته فى اللغة ضعيفاً في النحو وعلله ضعيفاً فى التصريف ، وله في ذلك مع أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح بن جني حكايات معروفة . ويحكى أن ابا الطيب المتنبي لما أنشد سيف الدولة ابن حمدان قوله :

* وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه *

قال له ابن خالويه : انما يقال « شجاه » لا اشجاه توهمه فعلا ماضياً فقال له المتنبي : أسكت فما وصل الأمر اليك . وجرى بينه وبين الفارسي كلام فقال ابن خالويه : نتكلم في كتاب سيبويه : فقال له الفارسي : لا بل نتكلم فى الفصيح . ولأبي على الفارسي في تغليطه كتاب نقض الهادور قلت : وانت اذا وقفت على ضعفه فى العربية وقفت على سر الحكاية المشهورة عنه وانها ليست من هضم النفس في شيء ، وهي انه قال له

رجل : أشتهى ان أتعلم من العربية ما اقيم به لساني . فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ما تعلمت ما أقيم به لساني . توفي سنة ٣٧٠ .

(ابن الجصاص)

المتمول الصدر الرئيس ابو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص البغدادي الجوهري التاجر السفار . وقال ابن طولون : لا يباع لنا شيء إلا على يد ابن الجصاص . صادره المقتدر فى سنة ٣٠٢ فأخــذ له من الذهب والجوهر ما قوم بأربعة آلاف دينار . وقال ابن الجوزي في المنتظم اخذوا له ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً وورقاً وخيلا وقماشاً ويحكى عنه بله وتغفل ، مر به صديق له فقال : كيف انت ؟ فقال ابن الجصاص : الدنيا كلها محمومة وكان قد حم . ونظر مرة في المرآة فقال لصاحبه : ترى لحيتي قد طالت . فقال : المرآة فى يــدك . قال : الشاهد يرى مالا يرى الغائب . ودخل يوماً على الوزير ابن الفرات فقال عندنا كلاب يحرموننا ننام . فقال الوزير : لعلهم جراء . فقال : بــل كل واحد قدي وقدك . وفرغ من الأكل فقال : الحمد لله الذي لا يخلف بأعظم منه . وأراد ان يقبل يوماً رأس الوزير فقال : ان فيه دهنا ؛ فقال : أقبله ولو أن فيه خرءاً . ووصف يوماً مصحفاً قديماً فقال : كسروي . توفى سنه ٣١٥ ؛

(الأديب ابو بكر بن بقى)

ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال : نبيل النثر والنظام ، قليـل الإرتباط والإنتظام ، ضنأ عليه حرمانه وما صفا له زمانه ، فصار قعيد صهوات وقاطع فلوات ، مع توهم لايطفئه بأماني، ومن نظمه الرقيق المعاني

عاطيته والليل يسحب ذيله　　صهباء كالمسك العتيق لناشق
حتى اذا مالت به سنة الكرى　　زحزحته شيئــاً وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشتاقه　　كي لا ينام على وساد خافق

وله من قصيدة :

ولكن ما جدى صبا غير لاقح　　يسد طريق المزن عن ارضي الفل
أخلاى والآدب تجمع بيننا　　وبعض طباع لست اقضى على كل
ذوى أملي عند اهتزاز عصوبة　　وارخصني الدهر الذي كان بي يعلى

ومنها :

وامدحهم ما حسبي الله كاذباً　　فيجزونني بالمنع شكلا على شكل

(أبو الحسن)

علي بن احمد بن نونحت ، كان أديباً مجيداً إلا انه كان قليل الحظ من الدنيا ، لم يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة حتى توفى بمصر فى شعبان سنة ٤١٦ ، وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة ، فكفنه ابو محمد ابن حيران متولى كتب السجلات بمصر :

(الصولي)

ابو بكر بن محمد بن يحي بن عبد الله المعروف بالصولي ، أحد الأدباء الفضلاء المشهورين : روى عن ابي داود السجستاني والمبرد وغيرهم وروى عنه الدار قطني والمرزباني ، وله التآليف المشهورة ، وكان اوحد وقته في لعب الشطرنج وبه يضرب المثل فيه ، خرج من بغداد لاضاقة لحقته فتوفى سنة ٣٣٥ .

(ابن ظفر)

ابو عبد الله محمد الصقلي ، له التصانيف المتعددة منها : سلوات المطاع ، وخير البشر ، وأنباء نجباء الأبناء ، والينبوع في التفسير ، وشرح مقامات الحريري ، والحاشية على درة الغواص - ذكره العماد في الخريدة ولم يزل يكابد الفقر حتى مات . قيل انه زوج ابنته بحماه من غير كفء للضرورة ، فرحل بها الزوج عن حماه وباعها في بعض البلاد . توفي سنة ٥٧٥

(ابن السكيت)

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت الإمام اللغوي النحوي ، كان اول الأمر يؤدب اولاد العامة ببغداد بدرب القنطرة ، ثم أدب ولدا بن طاهر والمتوكل وجعفر . قال الحسين بن عبد المجيب : سمعت يعقوب بن السكيت في مجلس أبي بكر بن شبة يقول :

ومن الناس من يحبك حباً ظاهر الحب ليس بالتقصير

فاذا ما سألته نصف فلس لحق الحب باللطيف الخبير

قيل : ان المتوكل قتله ، وذلك أن المتوكل امره بشتم رجل من قريش فلم يفعل فأمر القرشي ان ينال منه ففعل فأجابه يعقوب ، فلما أجابه يعقوب قال له المتوكل : امرتك ان تفعل فلم تفعل فلما شتمك فعلت ، فأمر بضربه فحمل من عنده صريعاً مقتولاً . ووجه المتوكل الى بني يعقوب من الغد عشرة آلاف درهم - قاله الانباري في نزهة الألباء.

(الأديب ابو جعفر)

ابن المثني ، ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال : رافع راية

القريض وصاحب آية التصريح والتعريض ، أقام شرائعه واظهر روائعه وجعل عصيه طائعه ، وكان أليف غلمان وحليف كفر لا ايمان ، ما نطق متشرعاً ولا رتق متورعاً ولا اعتقد حشراً ولا صدق بعثا ولا نشرا ، وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتك هتكا لايبالى كيف ذهب ولا بما تمذهب ، وقد اثبت له ما يرتشفه ريقا ويلحو الأوان منه شروقا ، فمن ذلك قوله :

كيف لا يزداد قلبي من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبدر قواماً واعتدالا
ان من رام سلوى عنه قد رام محالا
لست اسلو عن هواه كان رشداً او ضلالا

ولما اشتهر عند ناصر الدولة ما تقرر وتردد على مسامعه انهتاكه وتكرر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه .

(الامام أبو سهل الصعلوكي)

محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفي نسباً من بني حنيفة العجلى الإمام ابو سهل الصعلوكي ، شيخ عصره وامام الدنيا في الفقه والتفسير والأدب واللغة والنحو والشعر والكلام والتصوف وغير ذلك من أصناف العلوم . وعن الصاحب ابي القاسم بن عباد لم تر خراسان مثله ولا رأى هو مثل نفسه ، لقي ابا بكر بن خزيمة وابا العباس الماسرخسي الثقفي وغيرهم ، ومن الصوفية الرئيس الشبلى وابــا علي الثقفي وغيرهم . وحكي عنه انه قال : ما مرت بي جمعة إلا ولي على الشبلي وقفة او سؤال ، وانه قال : دخل الشبلي على ابي اسحاق المروزي فرآني عنده فقال :

هذا المجنون من اصحابك لابل من اصحابنا . وعن الشيخ ابي عبـد الرحمن السلمي انه قال : قلت للاستـاذ ابي سهل في كلام جرى بيننا : لم ؟ فقال لي : أما علمت انه من قال لاستاذه لم لم يفلح ابداً . قال السبكي في الطبقات قال الاستاذ ابو القاسم القشيري : سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول : وهب الأستاذ ابو سهل جبته من انسان في الشتاء ، وكان يلبس جبة النساء حين يخرج الى التدريس اذ لم يكن له جبة اخرى ، فيقـدم الوفد المعروفون من فارس وفيهم من كل نوع امام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين ، فأرسل اليـه صاحب الجيش ابو الحسن وأمره ان يركب لاستقبالهم ، فلبس دراعة فوق تلك الجبة التي للنساء وركب . فقال صاحب الجيش : انه مستخف بي أمام البلد يركب في جبة النساء ، ثم ناظرهم فغلبهم اجمعين في كل فن . توفى في ذي القعدة سنة ٣٦٩ وصلى عليه ابنه ابو الطيب ودفن في المجلس الذي كان يدرس فيه .

(الغزي)

ابو اسحاق ابراهيم بن يحيي بن عثمان بن محمد الكلبي الغزي الشاعر المشهور ، ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال : انه دخل دمشق ثم بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ومدح ورثى ، ثم رحل الى خراسان وانتشر شعره هناك وأثنى عليه . وذكره العماد الكاتب في الخريدة واثنى عليه وقال : انه جاب البلاد وتغرب واكثر التنقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ، ولقي ناصر الدين بن مكرم بن العلاء وزير كرمان ومدحه بقصيدته البائية التي يقول فيها :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل :

وليل رجونا أن يدبّ عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شعائبا

ومن شعره :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب ان نراه كاسداً ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومن شعره :

وخز الأسنة والخضوع لناقص امران في ذوق النهى مران

والرأي ان تختار فيما دونه ال مران وخز أسنة المران

ومن شعره :

من آلة الدست ما عند الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء

فهو الوزير ولا أزر يشدّ به مثل العروض له بحر بلا ماء

وله :

وجف الناس حتى لو بكينا تعذر ما تبل به الجفون

فما تندى لممدوح بنان ولا يندى لمهجوّ جبين

ولد بغزة وتوفى وقد جاوز التسعين ودفن ببلخ سنة ٥٣٤ .

ومن نظم الغزي :

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم بعدي عن الناس فى هذا الزمان حجا

اذا خروجك لم يخرجك عن كرب حسدت من كان جليس البيت ماخرجا

كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

قعدت في البيت اذ ضيعت منتظراً من رحمة الله بعد الشدة الفرجا

قال المصنف رحمه الله : (تنبيه) قال كاتبه ومصنفه احمد بن علي الدلجي عافاه الله من الفلاكة مهما وجدت في ترجمة عالم او شاعر أنه طاف البلاد وجال وتنقل فاحكم عليه ما لم يكن محدثاً بأنه في غاية الفلاكة ،

وهذا أمر يصححه عندي الذوق والوجدان ولا أشك فيه ، وانا اقطع بأن التنقل من لوازم الفلاكة وما خرج أحد من بلد ويمكنه الإقامة فيها والله اعلم .

(الفارابي)

محمد ابو نصر بن محمد بن أوزلغ بن طرخان من مدينة فاراب من بلاد الترك ، كان اماماً فاضلا وفيلسوفاً كاملا برع في الفلسفة واتقنها وأظهر محاسنها وتفنن في فن الموسيقى واخترع فيه ما لم يسبق اليه ، وشرح كتب الأوائل . كان في أول الأمر قاضياً ببلاده فأودع عنده رجل من التجار جملة من كتب ارسطاطاليس فنظر فيها فصادفت منه قبولا فترك القضاء واكب عليها بجملته وتجرد وسافر الى بغداد وأقام بها وقرأ بها المنطق على يوحنا بن حيلان ، وقرأ النحو على ابي بكر بن السراج ثم سافر الى مصر ثم رجع الى دمشق وأقام بهـا الى ان مات . قال ابو الحسن الآمدي : كان الفارابي مقتنعاً باليسير من الرزق ، وكان في اول امره ناطوراً ببستان بدمشق وهو في مثل هذه الحالة ملازم للاشتغال ليله ونهاره ، وكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس ، ولم يزل كذلك حتى ظهر فضله وكثرت تلامذته واجتمع بـه الأمير سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله الثعلبي فأكرمه وأوسع عليه ، فلم يقبل منه سوى اربع دراهم فضة في اليوم يصرفها في الضروري من عيشه . ومن دعائه « اللهم ألبسني حلل البهاء وكرامات الأنبياء وسعادة الأغنياء وعلوم الحكماء وخشوع الأتقياء » ومن شعره :

بزجاجتين قطعت عمري   وعليهما عولت امري
فزجاجة ملئت بحبر   وزجاجة ملئت بخمر

فبذى أدوّن حكمتي وبذى ازيل هموم صدري

وكان يرى الإنفراد على شرب الخمر ولا يحب المنادمة عليها .
توفى رحمه الله في شهور سنة ٣٣٤ . نقلت ذلك كله من عيون الأنباء فى طبقات الأطباء مما اختاره الحسن ابن احمد بن زفر الاربلي الشافعي من تاريخ ابن اصيبعة .

(الهروي)

صاحب الغريبين ابو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبيد العبدي الهروي القاشاني من كبار العلماء ، أخذ عن ابي منصور الأزهري اللغوي، وكتابه المذكور فسر فيه غريب القرآن وغريب الحديث النبوي وسار فى الآفاق ، قال ابن خلكان : وقيل انه كان يحب البذلة ويتناول فى الخلوة ويعاشر اهل الادب في مجالس اللذة والطرب عفا الله عنه ، وقد أشار الباخرزي فى ترجمة بعض أدباء خراسان الى شيء من ذلك . توفي سنة ٤٠١ . وضبط القاشاني بالقاف والشين المنقوطة .

(ابن فارس اللغوي)

ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي اللغوي ، كان اماماً في علوم شتى خصوصاً اللغة فانه اتقنها والف كتابه المجمل فى اللغة ، وهو على اختصاره جمع اشياء كثيرة ، وله رسائل أنيقة ومسائل في اللغة يعاني بها الفقهاء ، ومنه اقتبس الحريرى ذلك الأسلوب في مقامته التي وضع فيها مائة مسألة وعنه اخذ البديع الهمذاني ، ومن نظمه :

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

وله :

سقى همذان الغيث لست بسائل سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم
ومالى لا اصفى الدعاء لبلـــدة افدت بها نسيان ما كنت اعلم
نسيت الذي احسنته غير انني مدين وما في جوف بيتى درهم

وله :

وقالوا كيف حالك قلت خير تقضي حاجة وتفوت حاج
اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشق فى السراج

توفى سنة ٣٩٠

(جحظة)

ابو الحسين أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيي بن خالد بن برمـك المعروف بجحظة البرمكي ، كان فاضلا صاحب فنون وأخبار ونجوم ونوادر ومنادمة واشعار ، ومن شعره :

فقلت لها بخلت على يقظى فجودى في المنام لمستهام
فقالت لي وصرت تنام ايضا وتطمع ان ازورك فى المنام

وله :

اصبحت بين معاشر هجروا الندى وتقبلوا الأخلاق من اسلافهم
قوم احاول نيلهم فكأنمـــا حاولت نتف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبـــير وغنـــى ذهب الذين يعاش فى اكنافهم

وله :

وقائلة لي كيف حالك بعدنا افي ثوب يسر انت ام ثوب معسر
فقلت لها لا تسأليـــني فانني اروح واغدو في حرام مقتر

توفي سنة ٣٢٦ .

(ابن الخياط)

الشاعر المفطور صاحب الديوان المشهور ابو عبدالله أحمد بن محمد الثعلبي المعروف بابن الخياط ، طاف البلاد وامتدح الناس ودخل بلاد العجم ، دخل مرة الى حلب وهو رقيق الحال لايقدر على شيء ، فكتب الى ابن حبوس الشاعر المشهور :

لم يبق عندي مايباع بحبة　　وكفاك مني منظرى عن مخبرى
إلا بقية ماء وجه صنتها　　من ان تباع وأين اين المشتري

وقصيدته البائية كفاه بها تعريفاً بفضله ، وهي التي اولها « خذا من صبا نجد أماناً لقلبه » .

توفي سنة ٥١٧ .

(الحافظ أبو الفضل)

محمد بن طاهر المقدسي ، ذكره الإمام العلامة الحافظ عبد الكريم ابن السمعانى في ذيله على تاريخ بغداد وقال في أثناء ترجمته : كان بحراً في الحديث . وقال ايضا فى أثناء الترجمة رداً على الطاعنين فيه : وفضل محمد بن طاهر ومعرفته بعلم الحديث وتصانيفه وتبحره لاينكر ، ومن انكر من مشايخنا عليه فانما انكر سيرته ولعله تاب . ونقل عن أبى الحسن بن أبي طالب الكرخي الفقيه انه قال عنه : ما كان على وجه الارض له نظير . ثم نقل عنه انه صنف كتاباً في جواز النظر الى المرد وانه قال : رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقيل له : تصلى عليها ؟ فقال : صلى الله عليها وعلى كل مليح . ونقل ايضا عنه حكاية خرج منها انه كان فى

غاية الفقر ، وملخصها أن الحال اعوزته وهو يكتب الحديث ولم يبق معه غير درهم وهو محتاج الى كاغد والى خبز ، فردده بين الأمرين يوماً وثانيه ، فلما كان اليوم الثالث قال : لم يبق إلا الخبز فإني ان اشتريت به كاغداً لا أقدر على النسخ لأجل الجوع ، فوضعه في فيه وخرج ليشتري به فاتفق انه ابتلعه فأخذه الضحك ، فلقيه ابو طاهر الصانع فسأله عن سبب ضحكه فكتمه اياه ، فألح عليه فامتنع فحلف عليه بالطلاق ليخبرنه الخبر ، فأخبره بالحال فحمله الى البيت وتسبب له في دراهم كثيرة ـ اهـ ملخصاً

(ابو العلاء محمد بن محمد بن صالح بن الهبارية)

كان إماماً في علوم الأدب بحراً في النظم والنثر سلس الشعر مع قوة المعنى وصحة المبنى ، ومن نظمه يمدح امين الدولة بن التلميذ وكان نصرانياً وكان محمد بن الهبارية شريفاً عباسياً :

يابني التلميذ لو وافيتكم	لم تكن نفسي بأهلي شغفه
انما طلقت كرمان بكم	انكم لى عوض ما اشرفه
برئيس الحكماء المرتجى	انه لى جنة مخترقه
شمس مجد لاتراها أبداً	عن سماوات العلى منكسفه
جل أن يدرك وصف مجده	انه اكثر من كل صفه
لو تمكنت لكانت جملتي	في زوايا داره معتكفه
فبه تفتخر الدنيا التي	اصبحت من غيره مستنكفه
انما احبو بني التلميذ بالـ	مدح اذ كلهم ذو معرفه
فابن يحيى منهم محيي الندا	زاد في الجود على من خلفه
حقق الكنيـة من والده	كرماً فيه وطبعاً الفه

وهم من صاعد عن سادة — بأبي مجدهم ما انطفه

لا تقسهم بالورى كلهم — فتقس لب السرى بالجعدفه

فابن ابراهيم لاهوت الدلى — من دعاه بشراً ما انصفه

يارئيس الحكماء استجلها — من بنات الفكر بكراً مترفه

انى انفدت نجلي قاصداً — اشتكي دهراً قليل النصفه

قلت : وقوله « فابن يحي منهم يحيي الندا » الخ أراد به ابو الفرج يحي بن التلميذ ، وهو يحي بن صاعد بن يحي بن التلميذ الملقب معتمد الملك ، وله فيه مدائح غيرها فمنها قوله :

يحي بن صاعد بن يحي لم يزل — للمكرمات الى حيالي خالبا

مازال يعربني علاه ولم ازل — بعلاه ما بين البرية خاطبا

ومنها :

لاتحوجن اخاك لابل عبدك الـ — قن بن عبدك ان يروم اجانبا

فلأنت اولى بي لما عودتني — عمن غدا لي في الاصول مناسبا

ثقة الخلافة سيد الحكماء معـ — تمد الملوك الفيلسوف الكاتبا

مازح وطايب مااستطعت فماالفتى — ممن يكون ممازحاً ومطايبا

وفداك من نوب الزمان وصرفه — قوم يزيدون الزمان معايبا

وسبب ذلك انه أتاه الى اصفهان فحصل له مالاً جزيلا من كبارها

(ابن المنير)

ابو الحسين أحمد بن المنير الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان الشاعر المشهور ، مهر في اللغة والأدب وقال الشعر فأجاد ، قدم دمشق وسكنها وكان كثير الهجاء بذيء اللسان ، ولما كثر منه ذلك سجنه نوري ابن أتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانه ، فشفع فيه ونفي ، وله

من جملة قصيدة* :

واذا الكريم رأى الخمول نزيله ... فى منزل فالرأى أن يتحولا

كالبدر لما ان تضاءل جد فى ... طلب الكمال فحازه متنقلا

ومنها :

لله علمي بالزمان وأهله ... ذنب الفضيلة عندهم أن تكملا

طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم ... ان قلت قال وان سكت تقولا

توفي في جمادي الآخرة سنة ٥٤٨ .

(النفيس)

ابو العباس احمد بن أبي القاسم المنعوت بالنفيس ، كان من العلماء والأدباء ، وله ديوان شعر جاد فيه . ذكره العماد في الخريدة فقال : فقيه مالكي المذهب له يد فى علوم الأوائل والادب ، ومن شعره :

يسر بالعيد اقوام لهم سعة ... من الثراء وأما المقترون فلا

هل سرني وثيابي فيه قوم سبا ... ام راقنى وعلى رأسي به ابن جلا

توفي سنة ٦٠٣ بقوص بعد أن جاب البلاد واستجدى الناس بشعره

(ابو الصلت)

أمية بن عبد العزيز الأندلسي ، كان أديباً ماهراً في علوم الأوائل ، ذكره العماد في الخريدة وأثنى عليه ، ومن نظمه :

وقائلة ما بال مثلك خاملا ... أأنت ضعيف الرأى ام أنت عاجز

فقلت لها ذنبي الى القوم انني ... لما لم يحوزوه من الفضل حائز

توفي سنة ٥٣٨ .

(مبرمان)

النحوى شارح كتاب سيبويه وان كان لم يتمه ، هو ابو بكر بن محمد على العسكري أخذ عن المبرد وتصدر بالأهواز . قال الذهبي : كان وضيع النفس يأخذ من الطلبة ويطلب حمال قفص فيحمله الى داره من غير عجز وربما انبسط فبال على الحمال ويتنقل بالتمر فيحذف بنواه الناس توفي سنة ٣٢٧ ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله له . ومن مصنفاته : كتاب علل النحو ، وكتاب التلقين ، وكتاب شرح شواهد سيبويه ، وكتاب شرح سيبويه . وكان اذا ركب في طبلية الحمال وبال عليه اعتذر له بقوله : احسب انك حملت رأس غنم .

(ابو الحسن الربعي)

علي بن عيسي بن الفرج بن صالح أبو الحسن الربعي النحوي الزيدي أحد أئمة النحو ، كان دقيق النظر في النحو جيد الفهم والقياس ، لازم ابا على الفارسى عشرين سنة ، فقال له أبو علي : مابقيت تحتاج إلي ولو سرت من الشرق الى الغرب لم تجد أنحى منك . ومن تصانيفه شرح الإيضاح للفارسي ، وكتاب شرح مختصر الجرمى ، وكتاب البديع في النحو ، وكتاب المبنى على فعال ، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شرح المتنبي ، وكتاب شرح سيبويه . وكان يرمى بالجنون . مرّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل سراويله وجلس على انفه وجعل يضرط وينشد :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ونازعه يوماً شخص في مسألة فعمد الى شرحه لكتاب سيبويه ،

فوضعه فى اجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان ويقول : جزاء من يجعل أولاد البغالين نحاة . وسأل من تلامذته أن يركبوا معه الى كلواد فظنوا حاجة عرضت ، فركبوا معه وعرضوا عليه الركوب فأبى فلما صار بجذائهم اوقفهم على سلم واخذ كساءاً وعصاً ، وما زال يعدو على كلب هناك وهو يهرب منه تارة ويثب عليه اخرى حتى اعياه ذلك فعاونوه عليه فأمسكه وعضه عضا شديداً وقال : هذا عضنى منذ أيام فأردت اخالف فيه قول الشاعر :

شاتمني عبد بنى مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له ... ومن يعض الكلب ان عضا

توفي سنة ٤٣٠ .

(القالي)

أبو الحسن علي بن أحمد بن علي القالي ، كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد وكان كلفاً بها ، فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى ، فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها ابي الحسن القالى المذكور :

انست بها عشرين حولا وبعتها ... فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ... ولو خلدتني فى السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل جفوني
فقلت ولم املك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ... ودائع من رب بهن ضنين

(البيهقي)

احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي

الإمام أبو بكر ، و « خسروجرد » بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفي آخره دال ، هو الإمام الجليل الحافظ الفقيه الأصولى القائم بنصرة مذهب الشافعي صاحب التصنيفات ، له : كتاب السنن الكبير ، وكتاب المبسوط في نصوص الشافعي ، وكتاب دلائل النبوة ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب معرفة السنن والآثار . قال تقي الدين السبكي معناه معرفة الشافعي بالسنن والآثار وغير ذلك . قال تاج الدين السبكي في الطبقات : كان على سيرة العلماء قانعاً من الدنيا باليسير متجملا فى زهده وورعه . توفي فى نيسابور في جمادى الأولى سنة ٤٥٨ .

(ابو سعيد الإصطخري)

الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام الجليل ابو سعيد الاصطخري القاضي .

قال الخطيب : احد الائمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعين ، كان ورعاً زاهداً متقللا . قال الطبرى : وحكي عن الداركي انه قال : ما كان ابو اسحاق المروزي يفتي بحضرة الإصطخرى ، قال ابو اسحاق المروزي : سئل يوماً ابو سعيد عن المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا هل تجب لها النفقة ؟ فقال : نعم . فقيل : ليس هذا من مذهب الشافعي فلم يصدق فأراه كتابه فلم يرجع وقال : ان لم يكن مذهبه وإلا فهو مذهب علي وابن عباس . قال ابو اسحاق : فحضر يوماً مجلس النظر مع أبي العباس بن شريح فتناظرا فجرى بينهما كلام ، فقال له ابو العباس : انت سألت مسألة فأخطأت فيها وانت رجل كثرة اكل الباقلاء قد ذهبت بدماغك . فقال له ابو سعيد : وانت كثرة أكل الخل والمري قد ذهب

بدينك . قال الطبرى : وكان من الورع والزهد بمكان لم يصله سواه ، يقال انه كان قميصه وعمامته وسراويله وطيلسانه من شقة واحدة وكانت فيه حدة ، وله تصانيف كثيرة فمنها : كتاب أدب القضاء ليس لأحد مثله ، ومن مفردات مسائله قوله « انه ينتقض الوضوء بمس الأمرد » . توفي ببغداد في ثاني الجمادين سنة ٣٢٨ نقلته من طبقات السبكي .

(السيد ركن الدين)

الحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الحسيني الإستراباذي تلميذ النصير الطوسي أبو الفضائل ، له عدة مصنفات منها : شرح اصول ابن الحاجب وشرح مقدمته في النحو ، وشرح الحاوى شرحين . وكان له ادرارات وجوامك كل يوم ستون درهماً ، كان يعيد دروس النصير الطوسي في الحكمة . قال الشيخ شهاب الحسباني ومن خطه نقلت : وكان في دينه رقة توفي سنة ٧١٨ بالموصل .

(ابو هفان)

عبد الله بن احمد بن حرب بن خالد ابو هفان النحوى اللغوي ، روى عن الأصمعي وصنف كتباً منها : كتاب صناعة الشعر كبير ، وكتاب أخبار الشعراء . قرأت بخط الحسباني انه كان مقترا عليه ضيق الحال ، وان دعبلا الخزاعي اضافه وسقاه نبيذاً حلواً ووصى الجوارى أن لايدلوه على الخلاء ثم تركه ونام ، فقال لبعض الجواري : اين الخلاء ؟ فقالت لها الأخرى : مايقول سيدي ؟ فقالت : يقول غنى

خلا من آل عاتكة الديار   فمثوى أهلها منهم قفار

فغنت هذه وصرخت هذه وشربوا أقداحاً ، فقال : أحسنتم غير

انكم لم تأتوا على مافي نفسي ، فلما اجهده الأمر قال : لعل الجارية بغدادية لاتعرف الخلاء فقال لها : اين المستراح ؟ ففعلوا كفعلهم الأول فقال : لعلهن حجازيات اين الحش ؟ ففعلوا كذلك ثم قال : لعلهن كوفيات اين الكنيف ؟ فأعادوا ذلك فحل سراويله وذرق في وجوههن ، فانتبه دعبل وامر له بثياب ، وهي حكاية طويلة . قال سعيد بن حميد لأبي هفان لأن ضرطت عليك ضرطة لأبلغنك الى فيد . فقال له ابو هفان : أسعدني بأخرى تبلغني الى مكة فاني ماحججت بعد . مات سنة ٢٥٥ .

(الرياشي)

العباس بن الفرج الرياشي مولاهم . قال المبرد : سمعت المازنى يقول : قرأ الرياشي علي كتاب سيبويه فاستفدت منه اكثر مما استفاد مني يعني انه أفاده لغته وشعره وافاده هو النحو . قال المبرد : وكان الرياشي والله احمق ، ومن حمقه انه اذا كان صائماً لايبلع ريقه .

(ابن بابشاذ)

النحوي البصري العلامة طاهر بن احمد بن بابشاذ ابو الحسن ، كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً ، فجاء قط فرمى اليه بشيء فأخذه وذهب به وعاد سريعاً ، ثم فعل ذلك مرة بعد اخرى فعلم ان له سبباً فاتبعوه فاذا بقط آخر أعمى في سطح فقال الشيخ : هذا حيوان بهيم قد ساق الله له رزقه أفلا يرزقني وأنا عبده ، فترك علائقه الدنيوية ولزم غرفة في جامع عمرو بن العاص وأقبل على العلم وجمع تعليقه في النحو قريباً من خمسة عشر مجلداً ، وأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها ويسمونه تعليقة الغرفة ، وكان له معلوم وراتب على قراءته للكتب التي يكتبونها عن السلطان وإصلاحها تعرض عليه قبل أن تحمل الى الجهة التى

عينت لها . سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات من وقته سنة ٤٦٩

(عبد الرحمن)

ابن محمد بن عبيد الله بضم العين مصغر ابن أبي سعيد كمال الدين ابو البركات الأنباري النحوي ، صاحب التصانيف المفيدة منها : هداية الذاهب في معرفة المذاهب ، وبداية الهداية في الأصول ، والداعي الى الإسلام في الكلام ، والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح . وفى الأدبيات ما يزيد على خمسين مصنفاً انتهت الرحلة اليه بالعراق من سائر الأقطار . قال الموفق عبد اللطيف : لم نر في العباد والمنقطعين أقوى طريقة ولا اصدق منه في اسلوبه جد محض ، لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم ، كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار أجرتها نصف دينار في الشهر يقنع به ويشتري منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوأ ، وتحته حصير قصب وعليه ثوب وعمامة قطن يلبسها عند المضي الى الجمعة ويلبس في بيته ثوباً خلقاً ولا يخرج منه الا يوم الجمعة وسير اليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له : اجعلها لولدك . فقال : ان كنت خلقته ارزقه . توفى ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٤٧٧ ودفن في تربة الشيخ ابي اسحاق الشيرازي .

(الواحدي)

علي بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدي ، كان مفسراً نحوياً لغوياً اصولياً انفق في صباه مالاً على تحصيل العلم وكان من أولاد التجار وذكر في مقدمة تفسيره الذي سماه البسيط أشياخه ومن قرأ عليه . قيل للغزالي لما صنف كتبه : ما عملت شيئاً أخذت الفقه من امام الحرمين من

نهايته وأسماء الكتب من الواحدي ، وكان الغزالي يقول : من أراد أن يسمع التفسير كأنه من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه بتفسير الواحدي ، وله كتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف وغيره ، وكان عديم النظير إلا انه كان يبسط لسانه في العلماء . توفي سنة ٤٦٨ .

(ابن برهان)

عبد الواحد بن علي بن عمر بن اسحاق بن ابراهيم أبو القاسم بن برهان النحوي الأسدي العكبري ، صاحب العربية والنحو والتاريخ وأيام العرب ، قرأ على عبد السلام البصري وأبي الحسن التميمي ، كان فيه شراسة على من يقرأ عليه ، وكان الطلبة يمشون حوله يميناً وشمالاً وهو يلقي عليهم المسائل وتكبر على أولاد الرؤساء ، وكان يتعصب لمذهب أبي حنيفة ، وكان يحب الباذنجان ويقول في تفضيله : الناس يأكلونه ثمانية أشهر في العام وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فلجوا . قرأت بخط الشيخ شهاب الدين الحسباني : انه كان على امامته وديانته يحب مشاهدة المليح ويقبل أولاد الأمراء والأتراك وأرباب النعم بمحضر من آبائهم ، ولا ينكرون عليه ذلك لعلمهم بدينه وورعه . وتوفي سنة ٤٤٦ قال : ولم يكن يلبس سراويل ولا على رأسه غطاء .

(الحريري)

صاحب المقامات القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد البصري الحرامي الحريري ، أحد الائمة في النظم والنثر ، وعمل بعد الحريري مقامات كثيرة : مقامات ابن الصقيل ، مقامات أبي العباس يحيى النصراني المعروفة بالمسيحية ، مقامات أبي الهيجاء شهنيروز . شرح المقامات ابن ظفر شرحين كبير

وصغير والمطرزي والشريشي وغير واحد . قيل : وكانت مسوداتها نحو حمل جمل ، سمع الحريري من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقريء وأبي القاسم بن الفضل المقصافي الأديب ، وقرأ النحو على أبي الحسن بن فضال المجاشعي شيخ إمام الحرمين فى العربية ، وتفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي . كان الحريري غنياً له ثمانية عشر ألف نخلة كل نخلة في السنة بدينار ، وقيل انه كان قذراً في نفسه وشكله ولبسه قصيراً ذميا بخيلاً مولعاً بنتف ذقنه ، وحكى بعض أهل الأدب ان الحريري لما قدم بغداد وكان الناس يهتفون بفضائله ويتطلعون الى لقائه ، فحضر اليه ابن حكينا المعروف بالبرغوث الشاعر فلم يجده على ما كان في ظنه فنظم أبياتاً :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالشان وقد ألجمه في العراق بالحرس

وقيل ان الحريري حضر مجلساً فذكروا فيه قول بعض الأدباء « ان لم يكن لنا طمع في درك درّك فاعفنا من شرك شرّك » استحسنها الحاضرون ، فعمل الحريري في الحال « ان لم تدننا من مبارك مبارّك فأعدنا عن معارك معارّك » . وبلغه ان صاحباً له يسمى أبا زيد المطهر ابن سلام البصري الذي عمل المقامات على لسانه شرب مسكراً ، فكتب اليه : ابا زيد اعلم ان من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولي المهذب ، ومن قبل سميت المطهر والفتى يصدق بالأفعال تسمية الاب ، فلا تحسها كى ما تكون مطهراً والا فغير ذلك الأسم واشرب .

(ابو العباس)

احمد بن الحسين النحوي الموصلي المعروف بابن الخباز ، كان من علماء النحو وفرسانه اديباً لطيف الروح عذب العبارة حسن النظر كثير

الاطلاع والحفظ . قال ابن هشام مصنف المغنى فيما وجدته بخطه: وكأنه كان غير منصف من اهل زمانه ، وقد وقفت له على عدة تآليف يشكو فيها حاله ، فمن ذلك قوله في خطبة كتابه الذي سماه الفريـــدة في شرح القصيدة وهي قصيدة ابي عثمان سعيد بن المناس الشهير بابن الدهان « فان اصبت فمن فضل الله الرحيم وان اخطأت فمن الشيطان الرجيم ، ومن علم حقيقة حالي عذرني اذا قصرت بأن عندى من الهموم ما يزع الجنان عن حفظه ويكف اللسان عن لفظه ،ولو ان ما بي بالجبال لهدها وبالنار اطفأها وبالماء لم يجر وبالناس لم يحيوا وبالدهر لم يكن وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يسر ، وأنا اسأل الله العظيم ان يكفيني شر شكواي وان لا يزيدني على بلواي ، فاني كلما اردت خفض العيش صار مرفوعاً وعاد بالحزن سبب المسرة مقطوعاً ، والله المستعان في كل حال ومنه المبـــدأ واليه المـآل » نقلت ذلك كله من خط العلامة جمال الدين بن هشام المصنف رحمه الله.
نقلت من خط الشيخ نور الدين الأبياري « الصعاليك من العرب عروة ابن الورد العبسي وتأبط شراً الفهمي والشنفرى الأزدي أزد شنؤة وعمرو ابن معدي كرب الزبيـــدي والأسعر بن مالك الأودي وعمرو بن برّاق الهمداني وشراحيل بن الأشهب الجعفي وابو خراش الهذلي وعمرو ذو الكلب الهذلي » ونقلت من خطه ايضاً : قال الذهبي كان في الأشعر دعابة ومزح كثير وكان يقنع باليسير ، وكان له بعض قرية من وقف جدّهم الأمير جلال بن أبي بردة ، ويقال انه بقي الى سنة ٣٣٠ .

(الفصل الحادي عشر)

فى مباحث تتعلق بالفصل قبله ، ومن المباحث النكبـــات الحاصلة للأعيان لا يحملنك قلة من عددنا في الفصل قبله من العلماء الذين تقلصت

عنهم الدنيا على توهم انبساط الدنيا على غالب العلماء أو معظمهم واعتقاد تمتعهم بها ، فان لا نحصارهم في العدد المذكور في الفصل قبله أسباباً : منها انا لم نذكر من العلماء إلا من زويت عنه الدنيا ولم يترجم بزهد وشدة تقشف وردّ للدنيا واعراض عنها ، وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل الشيخ

(محيي الدين النواوي)

يحيي بن شرف بن مري مع انه كان لا يأكل الا أكلة بعد عشاء الأخيرة ، ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ، ولا يشرب الماء المبرد ، ولا يأكل من فاكهة دمشق معللا ذلك بأن الاوقاف والاملاك للمحاجير فيها كثيرة والتصرف لهم لا يجوز الا على وجه الغبطة والمعاملة فيها على وجه المساقاة ، وفيها خلاف والناس لا يفعلونها الا على جزء من ألف جزء للمالك ، وكان لا يدخل الحمام ولم يتزوج ولم يشرب الفقاع ، ومأكله كعك يابس وتين حوران يأتيه به ابوه وملبسه الثياب المرقعة . توفى سنة ٦٧٦ .

(ومثل السهروردي)

صاحب عوارف المعارف امام وقته لساناً وحالا وعلماً وعملا ، مع انه عمي في آخر عمره واقعد ومات ولم يخلف كفناً . توفى سنة ٦٣٢ .

(والحسن بن العباس السرخسي)

الاصفهاني مع انه كان يسمع عليه الحديث وهو في رثاثة من الملبس والمفرش بحيث لا يساوي طائلا كما ذكره ابن كثير في طبقاته . توفى سنة ٥٦١

(ومثل ابراهيم بن اسحاق)

ابن بشير ابو اسحاق الحوي احد الائمة في الفقه والحديث وغير

ذلك ، امام مصنف عالم يقاس بالامام احمد شيخ الدارقطني ، كان يقول : الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله . وقد كان بى شقيقة منذ خمس واربعين سنة ما اخبرت بها احداً قط ، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما اخبرت به احداً ، أنفق على نفسه وعياله فى بعض الرمضانات درهماً واربعة دوانيق ونصفاً ، وبعث اليه المعتضد بعشرة آلاف درهم فأبى ان يقبلها ، فرجع الرسول يقول له : قال لك امير المؤمنين فرقها على جيرانك . فقال : هذا شيء لا نجمعه ولا نفرقه إما أن يتركنا وإما أن نتحول من بلده . توفى لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٤ وكغيرهم من العلماء والاولياء .

(ومنها) انا لم نذكر أيضاً من لم ينص على فقره صريحاً او بلازم واضح ، وكثيراً ما يقول المترجمون : « كان متقللا » ويقتصر عليه ، فلا أذكره مع الظن بأنه من المستحقين للذكر في الفصل قبله ، فمن ذلك :

(ابن الأنباري)

عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري صاحب أسرار العربية والمصنفات التي تزيد على مائه تصنيف ، فانهم قالوا في ترجمته انقطع للعبادة والعلم صابراً على خشن العيش والتقلل منه . توفي سنه ٣٧٧ .

(ومنه عزيزي)

ابن عبد الملك الشافعي المعروف بشيدله ، صاحب مصارع العشاق ، فانهم قالوا في ترجمته : كان زاهداً متقللا من الدنيا . توفى سنة ٤٩٤ .

(ومنه المبارك)

ابن محمد بن عبد الله السوادي الواسطي نزيل نيسابور ، أحد اركان

الفقهاء المكثرين الحافظين للمذهب القوى المناظرة ، قالوا فى ترجمته: كان متجملا قانعاً باليسير .

ومع ذلك ماذكرته وغيرهم ممن لم يتضح لي فقره إلا بلازم ضعيف أو عبارة مجمجمة وسقط بذلك طائفة كبيرة .

(ومنها) انا لم نذكر كل من شد أطرافاً من العلم كيف ما كان وقعدت عنه الدنيا ، بل انما ذكرنا الأعيان وسقط لذلك طائفة كبيرة .

(ومنها) انى لم أذكر إلا من صرح بفقره او بلازم فقره الجلي ، أما من لم يصرح بفقره ولا بغناه ولا يسند اليه تولية منصب ولا تدريس بل ترجموه بالعلم وسيبوه فلم أذكره . وفيه بحث لانه لايلزم من عدم ذكر الفقر عدم الفقر ، ولا يقال هو معارض بمثله لأنه لايلزم من عدم ذكر الغنى عدم الغنى ، لأنا نقول : لكن الترجيح معنا ، لما ان المؤرخين بصدد ذكر كمالات المترجم ، حتى انهم يذكرون تداريس لايعبأ بها في بعض التراجم ، فلو كان الذكر لتوفر الداعية على نقله فلما لم يذكر علم انه لم يقع وسقط بذلك طائفة كثيرة :

مثل (ابن الحاجب) أبي عمرو عثمان المالكي المتوفي سنة ٦٤٦ .

ومثل (ابن عصفور) علي بن مؤمن بن محمد العلامة الاشبيلي المتوفي سنة ٦٦٤ .

ومثل أبي محمد عبد الله (ابن الخشاب) وغيرهم من العلماء الائمة

ومثل (الزمخشري) ومن نظمه :

خليلي هل تجدي على فضائلى	اذا أنا لم ارفع على كل جاهل
من الغبن ذو نقص ينال منازلا	اخو الفضل محقوق بتلك النازل
كفى حزناً ان يرغم العلم والحجا	بضد زياد طيشه غير عاقل
ومن لى بحق بعد ما وقرت على	اراذلها الدنيا حقوق الاماثل

كذا الدهر كم شوهاء في الحلي جيدها وكم جيـد حسناء المقلد عاطل
ومما شجاني ان غر مناقبي يغني بها الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي وسارت مسير النيرات رسائلي
وكم من أمال لي وكم من مصنف اصاب بها ذهني محز المفاصل
غني من الآداب لكنني اذا نظرت فما في الكف غير الانامل
فيا ليتني اصبحت مستغنياً ولم اكن في خوارزم رئيس الافاضل
ويا ليتني مرض صديقي ومسخط عدوي وأني في فهاهة باقـل
فلست بفضلي بالغاً ولو انني كقس اياد اوكسحبان وائـل
وما حق مثل ان يكون مضيقاً وقد عظمت عند الوزير وسائلي
فلا تجعلوني مثل همزة واصل فيسقطني حذف ولا راء واصل
فكل امرىء امثاله عدد الحصا وهات نظيري في جميع المحافل
فوقع الى هـذا الزمان فانه غلامك يجعلني كبعض الاراذل

(ومنها) انا لم نذكر من ترجم بفقر ثم بغنى زائد تغليباً لجانب الغنى المتأخر ، وسقط بذلك ايضا طائفة .

(ومنها) ان الكتب والزمان لم يساعـدا على استيفاء هذا المقام واعطائه حقه ، فلعل مالم نره اكثر مما وقفنا عليه .

(ومنها) انا لم نذكر الا ما وقفنا عليه في كتاب معتمد وضـع للتراجم ، أما الكتب الأدبية ففيها اشياء كثيرة لم اذكرها .

(منها) ما في العقد لابن عبد ربه وشرح الزيدونية لابن نباتة ان ابا الاسود الدؤلي النحوي وسهل بن هارون الملقب بزر جمهر الاسـلام والكندي الامام في العلوم العقلية الملقب بفيلسوف العرب كانوا في غاية البخل ، وفي عدم ذكر ابي الأسود الدؤلي معنى آخر هو جلالته وصيانته عن نسبة البخل اليه .

(ومنها) اني لم اذكر في الفصل قبله في النكبات العارضة للاعيان، فقلما خلا عالم او نبيل من نكبة، وانا اذكر هنا طرفاً لائقاً بمقصودي من ذوى النكبات :

(مالك ابن انس)

ابن ابي عامر بن الحرث بن غيمان - بالغين المعجمة - ابو عبد الله الإمام المدني، احد أئمة الاسلام، سعى به الى جعفر بن سليمان بن علي ابن عم ابي جعفر المنصور، فدعا بــه وجرّده وضربه سبعين سوطاً، ومدت يداه حتى انخلع كتفاه. وسبب ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد ابن عبد الله بن حسن وقالوا له: ان في أعناقنا مبايعة ابي جعفر. فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين، فأسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك، ثم لم يزل بعده في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها. توفى سنة ١٧٤.

(أبو حنيفة)

النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي أحد الائمة المتبوعين، كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فأراده لقضاء الكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى، فضربه مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة أسواط، وبقي على الامتناع وسجنه فتوفى بالسجن في احــد القولين سنة ١٥٠ ببغداد.

(الإمام احمد بن حنبل)

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي استحوذ

على المأمون جماعة من المعتزلة وقوّلوه بخلق القرآن ، فعنّ له بطرسوس أن يكتب الى نائب بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن ، فكان ذلك اول الفتنة ، وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ٢١٨ ، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من العلماء فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الحيد سابوري فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن امره بذلك ، ثم جـاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير . ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة وان الامر شديد فرد الى بغداد في سفينـة مع بعض الأسارى ، ومات محمد بن نوح في الطريق وأودع الامام احمد السجن ببغداد نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، ثم احضره المعتصم في قيوده واجلسه فجلس ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال : فـا قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهـادة ان لا آله الا الله وأنا اشهد ان لا آله الا الله وان القرآن عـلم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطوني شيئاً من كتاب الله او سنة رسوله حتى أقول به . وناظره احمد ابن ابي دؤاد وغيره وانكروا الآثار التي أوردها وقالوا للمعتصم : هذا أكفرك واكفرنا . وقال له اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد : يا امير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلي سبيلـه ويغلب خليفتين ، فعند ذلك حمي واشتد غضبه فأخذ وجيء بالعقابيين والسياط وضربه ضرباً مبرحاً شديداً حتى أغمى عليه وغاب عقله وامر باطلاقه الى اهله ، فنقل وهو لايشعر، ولما شفي من الضرب بقي مدة وابهاماه يؤذيها البرد ، وكان الضرب في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٤١ .

(البويطي)

يوسف بن يحيي البويطي صاحب الإمـــام الشافعي ، كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليـه فاذا أجاب قال : هو كـما اجاب . وقال عنه الشافعي : هو لساني ، حمل الى بغداد في أيام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفي رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها اربعون رطلا ، وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنـــع ومات بالسجن في قيوده سنة ٢٣١ .

(البخاري)

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، أراد منه خالد بن احمد الذهلي ان يأتيه فى بيته يسمع اولاده فأبى وقال « في بيتـــه يؤتى الحكم » ، فاتفق ان جاءه كتاب من محمد بن يحيي الذهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق ، وكان قد وقع بين محمد بن يحيي الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتابه خلق افعال العباد فأراد الأمـــير ان يصرف الناس عن السماع من البخاري فلم يقبلوا ، فأمر عند ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن احمد على اتـان ، وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات ، فبرح البخاري الى بلد يقال لها « خزنتك » فمات سنة ٣٥٦ ـ نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير .

(النسائي)

احمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن ، إمام عصره والمقدم

على اضرابه ، رحل الآفاق واخذ عن الحذاق ، وكان ينسب الى شيء من التشيع . قالوا : دخل دمشق فسأله أهلها ان يحدثهم بشيء من فضائل معاوية . فقال : مايكفي معاويـــة أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل ، فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع ، فسار الى مكة فمر بالرملة فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضربوه في الجامع فقال : أخرجوني الى مكة فأخرجوه وهو عليــل ، فتوفى بمكة مقتولا شهيـــداً سنة ٣٠٣

(ابو عمرو)

عيسى الثقفي النحوي شيخ سيبويه ، صاحب كتاب الجامع الذي قيل ان سيبويه اخذه وزاد عليـــه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه . أودعه شخص وديعـة فنمى الخبر الى يوسف بن عمر امير العراقين ، فكتب الى نائبـه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسى بن عمرو مقيداً ، فدعا به ودعا حداداً وامره بتقييده ، فلما قيده قال له : لابأس عليك إنما ارادك لتعليم ولده . قال : فما بال القيد اذاً ، فلما وصل اليه سأله فأنكر ، فأمر بضربه فضرب بالسياط . توفي سنه ١٤٩ . كان كثير الاستعمال للغريب والتقعر في كلامه ، وهو القائل « افرنقعوا عني » . قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان : فاستنشده ابو عمرو بيتاً فيه بدا بمعنى ظهر وقال له : كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدين او بدان ؟ فقال : بدين . فقال : اخطأت ولو قال بدان لاخطأ ايضا . وانما أراد ابو عمرو تغليطه وانما الصواب بدون من بدا يبدو اذا ظهر ، وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر — ذكرت هذا استطراداً لاشتماله على فائدة .

(محمد بن الزيات)

أبو جعفر بن عبد الملك وزير المعتصم ثم ابنه هارون الواثق ، ثم لما مات الواثق اشار هو بتوليـة ولده وأشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل ، وتم امر المتوكل فحقد ذلك عليه مضموماً الى حقده عليه القديم لأنه كان يغلظ عليه في حياة الواثق تقرباً اليه ، وكان ابن الزيات قد صنع تنوراً من حديد في ايام وزارته وله مسامير محددة الى داخله يعذب فيـه الناس ، وكان يقول اذا استرحم : الرحمة خور فى الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل ادخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد ، ومات فى التنور فوجد قد كتب في التنور بفحمة :

من له عهد بنو	ر يرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت	عين من هنت عليه
رحـم الله رحـيما	دلت عيـني عليـه

توفى سنة ٢٣٣.

(ابن الدهان)

ناصح الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان النحوى البغدادي شارح كتاب الإيضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جنى ، وكان يفضل على أبي محمد الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجرى المعاصرين له ، انتقل الى الموصل قاصداً جناب الوزير جمال الدين الاصفهاني المعروف بالجواد ، وكانت كتبه ببغداد واستولى الغرق فى تلك السنة على البلد فغرقت كتبه ، وكان خلف داره مدبغة ففاضت بالغرق الى بيته فتلفت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق ، فأرسل من احضرها له وكان قد أفنى عمره فيها

فأشاروا عليه ان يطيبها بالبخور ويصلح ما امكنه فيها ، فبخرها باللاذن ولازمها بالبخور الى ان بخرها بأكثر من ثلاثين رطلا لاذناً ، فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فأحدث له العمى . توفى سنة ٥٦٩.

(ابن عطاء)

ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء ، أحد أئمة الصوفية ، حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما . كانت له ختمة يتـــلوها ١٧ سنة يتدبرها مات ولم يكملها ، احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج اعتقاده ، فسأله الوزير حامد بن عباس عما قاله الحلاج فقال: من لايقول بهذا فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير : ويحـك تصوب مثل هذا الإعتقاد ؟ فقال : مالك ولهذا ، عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظالمهم، مالك والكلام مع هؤلاء السادة . فأمر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما رأسه ، فما زال يفعل به كذلك حتى سال الـــدم من منخريه وامر بسجنه . فقيل له : ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله . قال ابن عطاء : اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه، فمات ابن عطاء بعد سبعة ايام سنـــة ٣٠٩ ، وقتل الحلاج قبله بعد أن ضرب نحواً من الف سوط وقطعت يداه ورجلاه ، ثم احرقت جثته بالنار ونصبت يداه ورجلاه ورأسه أياماً على الجسر ، وكان ذلك لست بقين من ذي الحجة سنة ٣٠٩ ، ثم مات الوزير مثل مادعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا .

(ابن شنبود)

المقريء محمد بن احمـــد بن أيوب بن الصلت ابو الحسين المقريء

المعروف بابن شنبود ، روى عن ابي مسلم وبشر بن موسى وخلف،وكان يختار حروفاً انكرها أهل زمانه عليه ، وصنف ابو بكر بن الأنباري محمد ابن القاسم الحافظ الذي كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتاباً في الرد عليه . كان ابو بكر المذكور من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وكان لا يأكل الا البقالي ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه. عقد لابن شنبود مجلس في دار الوزير أبي علي محمد بن مقلة وادعى عليه بالحروف التي كان يقرؤها فأقر بالبعض ، فضرب به الوزير ابو علي رأسه واستتيب ، فدعا على ابن مقلة فلم يفلح بعد ذلك . وتوفي سنة ٣٢٨ .

(ابن مقلة)

الوزير أحد المشاهير الكتاب محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله ابو علي المعروف بابن مقلة الوزير ، كان له بستان كبير جداً وعليه جميعه شبكة من ابريسم وفيه من الطيور والقماري والهزار والطواويس شيء كثير ، وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والأيل شيء كثير أيضاً . وولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي ، وبنى له داراً فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فاتفقوا على ان تبنى في الوقت الفلاني ، فأسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا ، فما لبث بعد استتمامها الا يسيراً ، وقد انشد فيه بعض الشعراء :

قل لابن مقلة لا تكن عجلا واصبر فانك في أضغاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهداً داراً ستنقض أيضاً بعد ايام
ما زلت تختار سعداً تطلبن لها فلم يوف بها من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتمعا في حال نقض ولا في حال ابرام

ثم عزل عن وزارته واحرقت داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم

قطع لسانه واغرم ألف ألف دينار ، ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة ، وكان يستقي الماء بنفسه من بئر عميق يدلي الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه ، وقاسى جهداً جهيداً حتى مات في الحبس سنة ٣٢٨ ، ومن نظمه وهو يبكي على يده :

اذا ما مات بعضك فابك بعضاً   فان البعض من بعض قريب

والنكبات كثيرة لاتحصى وفيما ذكرناه مقنع ، فان الكتاب كله أنموذج ومسودة في بابه . والله تعالى اعلم .

(الفصل الثاني عشر)

(في اشعار المفلوكين ومن في معناهم من مقاصد شتى وبيـــان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة).

اعلم أن الفلاكة اذا استولت على شخص وسلبته القدرة على الأفعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالأقوال ، وذلك لما ان في الكلام راحـة وفرجاً وتنفيصاً من ألم الباطن، ولذلك قلما يطيق كتمان الأسرار إلا الواحد الفذ ، وكذلك ايضاً قلما يطيق الانسان استدامة أقوال تخالف ما في باطنه بل لابد له من فلتات مطابقة لما في باطنه ، لما ان النفس بطبعها تطمح الى طلب الراحة والاستلذاذ بحسب المقدور .

واذا اتضح ان في الاقوال تنفساً وراحـــة ولذة وتنفيصاً من آلام الباطن وضحت الحكمة في انتصاب المفلوكين خطباء وشعراء وحكماء فمرة يسلون أنفسهم بترجيح الكمالات النفسانية على الكمالات الماليـــة بالأدلة الخطابية والتشبيهات الشعرية ، ومرة يذكرون عوارضهم اللازمـة بمقتضى الفلاكة ويصوغون عنها اعذاراً وحكمة وتشبيهات رائقة وكلمات فائقـــة تنفيصاً من قبح صورتها ، وليشغلوا النـاس بما أوردوه فيها من محاسن

الكلام عن الفكرة في صورتهاالشنيعة ، ومرة يسابقون الى ذكر نقائصهم ويجعلونها رقة أدبية أو نكتة شعرية او كلمة هزلية قبل ان يذكرها غيرهم عنهم ليصرفوا الناس عن الإشتغال بها لأن النفوس تكره المعاد ، ولذلك قيل فى الامثال « أقبح من معاد » وليكون ذلك اخف على نفوسهم، لما ان الشخص لا يتأنف من نفسه ما يتأنفه من غيره ولا يثقل عليه كلامه ككلام غيره .

حكي ان الاخفش الصغير كان يحفظ الأهاجي التي هجاه بها ابن الرومي ويوردها في جملة ما يورده ، والحكمة فيه ما ذكرته لا ما ذكره ابن خلكان في تاريخه من انه كان يقول « أنوّه بذكرى بها » فان ذلك ان قاله الأخفش فقوله غطاء على المعنى الحقيقي . ولذلك أيضاً يذكرون الأسفار ويغرون بها مرة وينهون عنها اخرى ، فالاغراء لما قدمته فى الفصل الرابع ، والنهي يكون حيرة ودهشاً ، ولذلك ايضاً يغرون بتطلب المجد والثروة تارة ويأمرون بالقناعة اخرى قلقاً واضطراباً ويذمون الأيام ويتضجرون ويتململون ويستعتبون ويشعرون وهم لا يشعرون ويتفتنون وهم يفتنون ويحسبون انهم يحسنون صنعاً ألا انهم هم الخاسرون ، ويتلطفون وهم يستثقلون ويتعذرون ولكن لا يعذرون أم تسألهم خرجاً فهم من مغرم مثقلون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

والاغنياء عن ذلك كله بمعزل وعن العناء فيه بألف منزل ، قد أغناهم الفعل عن القول والفضل عن الفضول والاعذار عن الاعتذار والإحسان عن صوغ اللسان ، وأنا أورد ان شاء الله تعالى أحاسن مايحضرني من أشعار المفلوكين ومن في معناهم في هذه المقاصد كلها .

وانما قلت « و من في معناهم » دفعاً لسؤال مقدر توجيه ان المذكور في هذا الفصل من الشعر منه ما هو من كلام الأماثل والعظماء والنبلاء .

فالجواب انه وان صدر عن عظيم او نبيل فانما ذكر بلسان المفلوكين وشرحاً لحالهم ونيابة عنهم ورحمة عليهم ، او عند عارض فلاكة حقيقية عرضت للوجيه العظيم صيرته في حكم المفلوك بحسب تلك الحالة ، او عند عارض فلاكة حالية بحكم الوارد على القلة ، فان الوارد ـ كما هو مقرر في كتب الصوفية ـ اذا ورد على القلب وشايعته النفس بالاستحسان والاستجلاء ولم يمانعه اكسب حالا ، واذا علمت الأحوال المقتضية للاشعار الآتية والحامل عليها فهاكها غير ناس ولا غافل عما قررته في مقدمة الفصل العاشر فانه محتاج اليها في هذا الفصل ، فمن ذلك قول القائل :

الى الله اشكو جور دنياكم التي تغر الفتى حتى يوارى برمسه
فتكسبه ان اقبلت حسن غيره وتسلبه ان ادبرت حسن نفسه

ومنه :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
أيّ شيء أعز عندي من العلـ ـم فما ابتغى سواه انيسا
انما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومنه :

تلحى على البخل الشحيح بماله افلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرم يديك عن السؤال فانما قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضم الي فضل قناعتي وأبيت مشتملا بها متزملا
وأرى العدوّ على الخصاصة شارة تصف الغني فيخالنى متموّلا
واذا امرؤ أفنى الليالي حيرة وامانياً افنيتهن توكلا

ومنه :

عجبت سعاد من ارتياحى للعلا في العدم وهو يفل غرب الجامح
لا يغشنى الاقتار عاراً انني رحب الذراع بكل خطب فادح

ولربما نهض المقل بعبئه وحبا به المثرون حبو الرازح
مثل السماكين انتفاعك منهما بالاعزل المدحوض فوق الرامح
ولئن خفيت عن الورى وفضائلي كمد الحسود ونار غيظ الكاشح
فالنار في اشجارها مخبؤة حتى يتـاح لها يمـين القادح

ومنه :

أهوى الخمول لكي أظل مرفهاً مـمـا يعانيــه بنو الازمان
ان الرياح اذا عصفن لواقحا تولى الاذية شامخ الأغصان

ومنه :

المرء يحظى ثم يعلو ذكره حتى يزين بالذى لم يفعل
وترى الشقى اذا تكامل عيبه يرمى ويبخل بالذي لم يعمل

ومنه :

شغلنا بكسب العلم عن مكسب الغني كما شغلوا عن مكسب العلم بالوفر
وصار لهم حظ من الجهل والغنى وصار لنا حظ من العلم والفقر

ومنه :

لاتحقرن أديباً راق رونقه عن الفصاحة اما راح في شمل
فالسكر العسلى الحلو من قصب والنرجس البابلى الغض من بصل

ومنه :

ينجد بي تارة ويتهم بى ضر زمان بأهــله جافي
حتى كأنى قذاة مقلته أو خبث فوق كاسه طافي

ومنه :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى وما علموا ان الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شتان حرما علي الغنى نفسى الأبية والدهر
اذا قيل هذا اليسر ابصرت دونه مواقف خير من وقوفي بها العسر

ومنه :

ولا تعدن رزقاً ما ظفرت به ... الا اذا دار بين الحلق والحنك

ومنه :

لايؤيسنك من مجـــد تباعده ... فان للمجد تدريجاً وترتيبا
ان القناة التي ابصرت رفعتها ... تنمو وتحدث أنبوباً فأنبوبا

ومنه :

والحر من حـــذر الهوا ... ن يحاذر الامر الجسيما
والعاجز المأيوف أقـــ ... ـعد ما يكون اذا أقـــيما

ومنه :

المرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولئن يعادي عاقلا خير له ... من أن يكون له صديق احمق
وان امرؤ لسعته أفعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
لا الفينك ثاوياً في غربة ... ان الغريب بكل نبل يرشق
ما الناس الا عاملان فعامـــل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وانما ... بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون على وزان عقولهم ... الفيت اكثر من ترى يتصدق
لو سار الف مدجج في حاجة ... لم يقضها الا الذى يترفق

هـذه الأبيات لصالح بن عبـــد القدوس ، وقوله « يتصدق » هو ببناء المجهول حتى يصح المعنى المراد ، وهو ان الغالب على الناس قلة العقل والخفة ، وأصله يتصدق عليه فحذف عليه . ولو قرىء ببناء المعلوم لانعكس المعنى وكان معناه ان العقلاء هم الأكثر ، وليس بصحيح لادراية ولا رواية وهـذا الرجل اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله اليه ، فلما خاطبه اعجب

بغزارة علمه وأدبه وحسن ثباته ، فأمر باطلاقه فلما ولى رده وقال : الست القائل :

والشيخ لايترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذى الضنى عاد الى نكسه

فقال : بلى. فقال : وانت لاتترك اخلاقك ، فأمر به فقتل سنة ١٦٧. فانظر الى الفلاكة قال حكمة فكانت سبباً في قتله ، ومثله قول عمارة اليمني الملقب نجم الدين الشاعر :

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الورى لحماً على وضم
وكان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم

أراد إظهار معنى بديع مبتكر ، فكان سبباً في قتله في احد الأقوال في سنة ٥٦٩ . وكنت هممت ان اضع فصلا في الكلمات التي كانت سهباً للحوق ضرر عظيم لأصحابها كهاتين الحكايتين واسميها بالفلاكة اللفظية لتكون الفلاكة ثلاثة انواع مالية ومعنوية ولفظية ، ثم بدا لي في ذلك وخشيت ان يصير الكتاب ادبياً لاعلمياً ، ولنرجع الى مقصود الفصل ومنه :

ليس الخمول بعار على امريء ذي جلال
فليلة القـــدر تخفى وتلك خير الليالي

ومنه :

ياهذه ان رحت في شمل فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خرق وقار

ومنه :

وليس قبح المكان مما يزرى به منصبي وديني
فالشمس علوية ومع ذا تغرب في حمأة وطين

ومنه :

احتل لحقـــدك فاللبيـ ... ـب بلطفه يستل ثاره

امضى الحديد أرقـــه ... والماء يثقب في الحجاره

والهجو بيت منه لا ... يطفى طويل المدح ناره

يخفى الكثير من الحلا ... وة في القليل من المراره

ومنه :

ولا غرو أن يبلى الشريف بناقص ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

ومنه :

واني واعدادي لدهري محمدا ... كملتمس اطفاء نار بنافخ

ومنه :

فان تكن الدنيا انالتك ثروة ... فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

فقد كشف الاثراء عنك خلائقاً ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ومنه :

حيائى حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقى

ولو أنى سمحت ببذل وجهي ... لكنت الى الغني سهل طريقى

ومنه :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ... عليه يوماً بما لا يشتهى وثبوا

ومنه :

قالت وقد انتضت سيوف اللحظ ... والدر ممازح لذاك اللفظ

ذا حظك ماانقصك قلت لهـــا ... لو شئت لما كنت قليل الحظ

ومنه :

من منصفي من معشر ... كثروا علي وكبروا

صادقتهم وأرى الخرو ج من الصداقة يعسر
كالخط يسهل في الطرو س ومحوه يتعـــذر
ومتى أردت كشطتـــه لكن ذاك يؤثر

ومنه :

اذا فات الفتى شيئان أضحى بعيداً من ممازجة القلوب
جمال الوجه او مال عظيم يزين فى حضور او مغيب
فكثر المال يشفع في المثاوي وحسن الوجه يشفع فى الذنوب

ومنه :

ان الغني الذي ترضى معيشته لا من يظل على ما فات مكتئبا
لا تحقرن من الأيام محتقراً كل امرىء سوف يجزى بالذي كسبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيتركه حتى يكون الى توريطه سببا
ان العدوّ وإن ابدى مكاشرة اذا رأى منك يوماً فرصة وثبا
اذا وترت امرأ فاحذر مغبته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

ومنه :

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
ونثرت دهرك لا خلاعة ماجن حصلت فيه ولا وقار مبجل
وأضعت حظ النفس في الدنيا وفي الا اخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ومنه :

اهل المناصب في الدنيا ورفعتها اهل الفضائل محقورون بينهم
قد انزلونا لأنا غير جنسهم منازل الوحش في الاهمال عندهم
فليتنا لو قدرنا ان نعرّفهم مقدارهم عندنا اولو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومنه :

اذا كان غير الله في عدة الفتى   أتته الرزايا من وجوه الفوائد

ومنه :

اذا لم يكن عون من الله للفتى   فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ومنه :

اذا شئت ان تحيا سعيداً فلا تكن   على حاله الا رضيت بدونها
ومن يطلب الغالي من العيش لم يزل   حزيناً على الدنيا رهين غبونها

ومنه :

إنى رأيت الدهر في حكمه   يمنح حظ العاقل الجاهلا
وما أرانى نائلا ثروة   كـأنه يحسبني عاقلا

ومنه :

اذا وجد الشيخ من نفسه   نشاطاً فذلك موت خفى
ألست ترى ان ضوء السراج   له لهب قبل ان ينطفى

ومنه :

انفض يديك من الانام فكلهم   شحاً يحل وانت عجزا تعقد

ومنه :

انفض يديك من الزمان وخيره   واحذر بنيه تفز بقلة ضيره
ولقد صفوت فما وجدت مصافيا   في الله أصحبه ولا في غيره

ومنه :

وأخ لى تكدرت   بعد صفو مشاربه
صاحبي حين لا يرى   في الورى من يصاحبه
واذا ما حظى به   صدّ وازورّ جانبه

ومنه :

اذا لم يكن صدر المجالس سيداً فلا خير فيمن صدّرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس

ومنه :

وأخ ان رام مني حاجة كان بالانجاح مني واثقا
واذا ما رمت منه حاجـــة كان بالرد بصيراً حاذقا
يعمل الحيلة فى الرد لها قبل ان افرغ منها ناطقا

ومنه :

إذا ما مدحت الباخلين فانما تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهدى لهم غماً كثيراً وحسرة فان منعوا منك النوال فبالعدل

ومنه :

واذا المسافر آب مثلى مفلساً صفر اليدين من الذي رجاه
وخلا من الشيء الذي يهديه لل إخوان عنـــد لقائهم اياه
لم يفرحوا بقدومـــه وتثقلوا بوروده وتكرهوا لقيـــاه
واذا أتاهم قادمـــاً بهدية كان السرور بقدر ما أهداه

ومنه :

لو كنت أجهل ما علمت لسرني جهلى كما قد ساءني ما أعلم
فالصعو يرتع في الرياض وانما حبس الهزار لأنـــه يتكلم

ومنه :

ان قدّم الصاحب ذا ثروة وعاق ذا فقر وافلاس
فالله لم يدع الى بيتـــه الا المياسير من الناس

ومنه :

لا يدرك المجد من لا يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا

ومن أراد العلا صفواً بلا كدر قضى ولم يقض من ادراكه وطرا
وأحزم الناس من لو مات من ظما لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

ومنه :

وقائلة ما بال مثلك خاملا أأنت ضعيف الرأى ام انت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم انني لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده واما المعالى فهي عندي غرائز

ومنه :

من اخمل النفس احياها وروحها ولم يبت طاوياً فيها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالى من الشجر

ومنه :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من الموت الكريه
اذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو أنني فيما يليه

ومنه :

ولوانى استزدتك فوق ما بى من البلوى لأعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياة بعيش مثل عيشى لم يريدوا

ومنه :

قالوا أقمت وما رزقت وانما بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهم ما كل سير نافعاً الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
كم سفرة نفعت واخرى مثلها ضرت ويكتدح الحريص ويخفق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه اذا حرم السعادة يمحق

ومنه :

سافر اذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا

والماء يكسب ما جرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيـ ـسة بدلت بالبحر نحرا

ومنه :

قوّض ركابك عن ارض تهان بها وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الأوطان منقصة فالمندل الرطب في اوطانه حطب

ومنه :

اذا ما نبت بالحر دار يودّها ولم يرتحل عنها فليس بذى حزم
وهبه بها صبا ألم يدر أنه سيزعجه عنها الحمام على رغم
ولم يكن الدنيا تضيق على فتى يرى الموت خيراً من مقام على هضم

ومنه :

وقالوا اضطرب فى الارض فالرزق واسع فقلت ولكن موضع الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حر يعينني ولم يك لي كسب فمن اين ارزق

ومنه :

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها ان ضاق رزق تجد فى الأرض مقترحا
قلت انظروا الريق في الأفواه مختزنا عذباً فان بان عنها صار مطرحا

ومنه :

عوّد ركابك كل يوم منزلا وتنقلن كي لا تمل وتضجرا
فالماء يعذب ما جرى وتلاطمت امواجه فاذا أقام تغيرا

ومنه :

اذا أنا لم اجد رزقاً حلالا ولم آكل حراماً مت جوعا

ومنه :

قالوا حسبت فقلت ليس بضائرى حبسي واي مهند لا يغمد

ومنه :

لم ينصبوا بالشاد ناج صبيحة ال   اثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم   شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
ما ضره ان يزعنه لباســه   فالسيف اهول ما يرى مسلولا

ومنه :

لا ينبغي للضيف ان كان ذا   حزم وتدبير وطبع لطيف
ان يتعدى أبداً طوره   ولا يرى الا بحكم المضيف
فالأمر للانسان في بيته   انشاء ان ينصف او ان يحيف
وانما ينقض أحكامه   عليه ذو جهل وعقل سخيف

ومنه :

اذا شئت أن تستقرض المال منفقاً   على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها   عليك وارفاقاً الى زمن اليسر
فان قبلت كنت الغني وان ابت   فكل منوع بعدها واسع العذر

ومنه :

اذا ما لم تكن ملكا مطاعاً   فكن عبداً لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعاً   كما تختار فاتركها جميعا
هما سببان من ملك ونسك   ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء   سوى هذين عاش بها وضيعا

ومنه:

ياأيها العالم لا تشتكي   فالحذق محسوب من الرزق
العلم لا يسلبه اهله   والمال مسلوب من الخلق

ومنه :

المال اشرف ما اقتنيت فلا تكن   سمحاً به وتأنّ في تفصيله

ماصنف الناس العلوم بأسرها الا ليحتالوا على تفضيله

ومنه :

احمد الله كم اجود فى الدهـ ر مقالا وما يفيد المقال
كلمى فى الانام سحر ولكن انا والسحر باطل بطال

ومنه :

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله وليس لهم حتى النشور نشور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وأجسادهم قبل القبور قبور

ومنه :

من ظن ان الغنى بالمال يجمعه فاعلم بأن غناه فقره أبدا
فاستغن بالعلم والتقوى وكن رجلا لاترتجى غير رزاق الورى احدا

ومنه :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منها وما يتوقـع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

ومنه :

إني تركت لذى الورى دنياهم وظللت انتظر الممات وارقب
وقطعت عن نفسي المطامع ليس لى ولد يموت ولا عقار يخرب

ومنه :

يقولون لى فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لى يستفزني ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
واني اذا مافاتني الامر لم ابت اقلب طرفي اثـره متنـدما
ولكنه ان جاء عفواً قبلته وان مال لم اتبعه لولا وربما
واقبض خطوى عن امور كثيرة اذا لم انلها وافر العرض مكرما

واكرم نفسى ان أضاحك عابساً وان أتلقى بالمـديح مذمما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أدالوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة اذن فاتباع الجهل قد كان احزما

ومنه :

لا يحطن رتبتي سوء حالى آية الحسن في الجفون السقام
انا كالنار اطفأ القطر منها ولها بعد نفخة اغتـلام

ومنه :

أصبحت مثل السيف ابلى غمده طول اعتلاق نجاده بالمنكب
ان يعتليه صدافكم من صفحة مصقولة للماء تحت الطحلب

ومنه :

وأنت السيف ان تعدم حليا فلن تعـدم فرندك والغرار
ورب مطوق بالتـبر يكبو بصاحبـه وللرهج اعتبـار

(الفصل الثالث عشر)

(في وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة وبهذا الفصل نختم الكتاب ان شاء الله تعالى)

اعلم يا أخي في الوفا واخوة المصطفى خصوصاً المفلوك مثلى ان في الكمالات النفسانية لذة تزيد على اللذات الجسمانية ، فلا تستصغرن نعمة الله فيها متى زويت عنك الدنيا ، واستحضر قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يعطى الدنيا لمن يحبه ولمن لايحبه ولا يعطى الدين إلا لمن يحبه ، وان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما ورثوا العلم ، فمن اخذ منه فقد اخذ بحظ وافر » .

وانظر كيف يكون استجلاء لطائف العلوم شاغلا عن الأكل والوقاع

أفتراه يكون دونها لذة وهو شاغل عنها ، وعليك من العلوم بالكتاب والسنة والتمع بما فيهما من النكات واللطائف واستمد منهما برد اليقين وثلج الصدور، ولا تقنع بالعلوم العقلية فإنها ملساء مزلة الأقدام ، واصحابها يضطربون فيها اضطراب الأرشية .

هذا الامام فخر الدين على جلالته وامامته يصحح في بعض كتب ما يضعفه في الآخر ، وابلغ من ذلك ان ابن الراوندي سامحه الله صنف رسائل في خلق الأعمال وفي قدم العالم وغيرهما ، ثم صنف هو نفسه رسائل في ردّ ذلك كما ذكره صاحب الفهرست .

ولا تجمع لنفسك بين قبح الظاهر وهو الفقر وقبح الباطن وهو الجهل، وسع الناس بأخلاقك ومعارفك ان لم تسعهم بمالك ومعروفك ، واجتنب الإساءة اليهم ان عجزت عن الإحسان لهم ، وخذهم بالرجاء لانه أيسر ولا تأخذهم بالخوف وان كانوا به اطوع لأنه أخطر ، وارض بميسورهم وعظم حقيرهم ، فلا يحصل للنفوس مقصودها الا خالقها فلا تطلب المقصود إلا منه ، واجعل باطنك وحده لله ، وكن شديد الاستهانة بأمور الدنيا ضراً ونفعاً عطاءاً ومنعاً حصولا وفواتاً سلامة وآفاتاً ، وانظر الأصلح لنفسك من ذلك قبل وقوعه وبعده ، فتوخه واجتهد فيه ولا تكن وكلا بل متحركاً كيساً ، ورقع خرق عجزك وفلاكتك بحيلتك ومصابرتك والتعرض لتنفيسات الدهر والوثوب عند الفرصة ، ولا تيأس من روح الله . قال صلى الله عليه وسلم : « ان لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » قال تعالى : « انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . قال الشاعر:

والعاجزان الغالبان معاقب لا ينتهى ومعاتب لا يخجل

(وقال)

ثب على الفرصة في موضعها فهي لا تبقى ولا تستكسب

واقطع بأن ذرة من حظ خير من قنطار عقل ، وان جزءاً واحداً من المال خير من أجزاء كثيرة من الكمالات النفسانية ، ولله درّ من سمى المال كمال الكمالات ، وتحقق ان المعاصي كالسموم يضر قليلها وكثيرها مع الاستخفاف بها ومع تعظيم ارتكابها وجليها وخفيها ، فلا تغترّ بالتستّر والحيلة فان لله عيوناً من الملكوت ناظرة اليك ، وان للطاعات عبقاً وشذا تفوح على أهلها وان كتموها ، وللمعاصى نتناً وذفراً تفوح على أهلها وان أخفوها ، واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لاللناس ، وخذالناس الى أغراضك بمصالحهم تحقيقاً أو توهيما ، فان النفوس تنخدع بالباطل كما تنخدع بالحق ، ولا تأخذهم بغرضك المحض فقلما يساعفونك به إلا عوضاً عما سلفتهم من غرض لهم سابق ، وكن تواباً رجاعاً اواباً الى الله عظيم الإلتجاء اليه والاستعانة بقوته وباهر قدرته متملقاً له خاضعاً لجلاله ، وكن كثير الدعاء والالغاظ بأسمائه تعالى وله الحمد ، فان الدعاء نسبته الى استجلاب المطالب كنسبة الفكر الى استدعاء المطلوب العلمي . قال صلى الله عليه وسلم : « الظوا بيا ذا الجلال والاكرام » قال تعالى : « قل مايعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم » .

واياك اياك من التعويل على واحد بخصوصه من البشر والقاء الشراشر عليه ، فان من القى شراشره على غير الله وكله وما اختاره لنفسه . وانهاك أنهاك عن التوقيف على بواطنك وخفاياك ، وآمرك آمرك بسد طريق العلم بذلك جهدك وتكثيف حجابه ما أمكن ، وكن مع الناس بلسانك وظاهرك من كمالاتهم الدنيوية التي يعتقدونها كمالا ، فان الدنيا قد صارت مخارق بلا حقائق ، وثم أمور لايمكن التصريح بها ولا تتم بالتلقين ، وأنا اسأل الله ان يوفقك لها ويوقفك على حقيقتها .

هذا آخر ماتيسر لى كتابته فى هذا الغرض مما سهل مما حضر وفي

النفس من معاودته وبسط القول فيه ، فان هذا الكتاب انما وضعته مسودة وانموذجاً وبرناجاً في هذا المطلوب وفتحاً لباب عسى أن يلج فيه من حركه الله لذلك ، ولم ادخر فيه مما حضرني إلا ماخفت على الكتاب من كساده به لغموضه وكونه من الحكمة الضرورية أو من مشكلات غيرها من العلوم ، فيعسر فهمه أو ينتقده من لايقف على حقيقة معناه او لكونه تاريخاً محضاً فيصير الكتاب به أدبياً لاعلمياً ، ولم تتسع المادة بمجانس لما أوردته أزيد مما ذكرته ، لأني زحمت به بالخلخلة ولززت به لزاً بين عوائقي النفسانية وشواغلي البدنية مع قلة الكتب وعدمها ، وما احق هذا المقام بقول القائل :

ولست بأول ذي همة　　　دعته لما ليس بالنائل
يشمر للج عن ساقه　　　ويغمره الموج في الساحل

وأنا أستغفر الله تعالى واتوب اليه مما لعله فيه مما هو من قبيل الشقشقة والطنطنة ، أو من قبيل التمويه والسفسطة ، أو من حكم لم يصادف الحق أو قول لعله يوافق مرضاته سبحانه وله الحمد ، أو من نية لعلها لم تخلص لله ، أو مقصد مزج بغير إرشاد شرعي ، أو من تعليل الأمور بالمقاصد الدنية الدنيوية ، واستقيله العثرة في ذلك كله واستوهبه المعذرة واستمنحه المغفرة وأبرأ اليه من ذلك كله ، لا إله الا هو ولا غافر سواه .

(اللهم) يارحمن يارحيم يا واسع يا عظيم ياذا الفضل العميم والمن الجسيم يامعطياً قبل السؤال وعالماً بالحال اسألك بأسمائك كلها وصفاتك أجمعها وبكل ما اذا دعيت به اجبت ان تكشف عنا ضر الفلاكة والإهمال والحرمان ، وان تصرفنا عن مواقع الشر والخذلان ، وان تحفظ ألسنتنا وقلوبنا من الشيطان ، وان تكلأنا بالتوفيق وتؤيدنا بالتكلان يارحيم يارحمن لاحول ولا قوة الا بك ياعلي ياعظيم .

(اللهم) اني اشكو اليك ضعف حيلتي وقلة قوتي وهواني على الناس

رب المستضعفين وربي الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي لكن رحمتك أوسع لي .

(اللهم) اقبل معاذيري وتجاوز عن تقصيري ولا تتركني حقيرا ولا تسلط علي تغييراً واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً .

(اللهم) قد رفعت يدي اليك فلا تردهما صفراً .

(اللهم) ضع فيهما من خيرك وبركتك .

ما أنت بالسبب الضعيف وانما نجـــح الامور بقوة الاسباب

فاليوم حاجتنا اليك وانمـــا يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

(اللهم) انقطع الرجاء الا منك وحصل اليأس الا من رحمتك لاتعكس ظناً قد عول على فضلك ولا تخيب أملا طال تعلقه بك أعتق عنقاً مـــد اليك من رق غيرك فك اسيراً لا يملك فكاكه الا أنت .

(اللهم) ليس على عطائك عائـــق ولا يعجزك شيء فلك القدرة الكاملة والرحمة الواسعة والحكمة البالغة وكلتا يديك سخاء ولا ينقص فيضك العطاء وتستحي من تخييب آمليك غاية الحياء وعلمك قـــد أحاط بما في الارض والسماء وبما فى الظواهر والضمائر من الجلاء والخفاء انظر الينا منك بنظرة رحيمة ربنا مسنا ضر نفوسنـــا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، لا آله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، سمـــع الله نظر الله سبحان الله آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس الكتاب